وجوه مغربية بهولندا

مسارات

منشورات ملتقى الطرق

المملكة المغربية
ROYAUME DU MAROC
ccme
مجلس الجالية المغربية بالخارج
CONSEIL DE LA COMMUNAUTE MAROCAINE A L'ETRANGER

الإيداع القانوني : 2019MO0896
ردمك : 978-9920-753-05-0

© CCME مجلس الجالية المغربية بالخارج
ccme@ccme.org.ma

© منشورات ملتقى الطرق، 2019.
editionslacroiseedeschemins@gmail.com
www.lacroiseedeschemins.ma

الفهرس

تقديم 11
رحمة المودن.. مغربيّة بدأت بخُطوة وقَطَعت «ألف مِيل» 13
مصطفى هِلالي.. مغربيّ متفرّد وسط القيادَة العليَا للجيش الهولنديّ 19
مصطفَى نزيه.. مغربيّ يحمي نِصف ساكنة أمستردام من المخَاطِر 25
رشيدة الموساوي.. مغربيّة تُعالج الأمراض الباطنيّة بهولندا 29
جميلة يعقوبي.. مغربيّة اختارت التأثير بالتغذيّة على الحياة 35
ليلى عابد.. إعلاميّة مغربيّة حوّلت المَيز إلى محفّز للفلَاح بهولندَا 39
ربيعة بوحلحول.. مسار من زَايُّو إلى وزارة الشؤون الاجتماعيّة بهولندا 45
بناصر بوعياد.. مغربيّ يحرص على أمن رُبع مليُون شخص 51
سميرَة بُودُونت.. مغربيّة أُجبِرَت على النجاح في المحامَاة بهولندا 55
حسناء بوعزّة.. مغربيّة تعمل على محاربة «تنميط الجاليات» بهولندا 61
فلكاطة وواعزيز.. مغربيان يرصدان تميّز أداء الجاليات بهولندا 65
محمّد بوبكر.. مغربيّ يحلّ إشكاليات رقميّة كبرى انطلاقا من هولندا 71
فريد الدرقاوي.. مغربيّ يوفّر النصح لكبار مستثمري الأراضي المنخفضة 75
نور الدين دحّان.. مغربيّ يبرع في تطبيب الأطفال بالديار الهولنديّة 79
رجاء علواني.. مغربيّة تواكب خطَى الشباب المُلاقِين صعوبات بهولندا 85
أحمد مركُوش.. سياسيّ مغربيّ يتبنّى «العلاجِ بالصدمات» في هولندا 89
أحمد برغوال.. مغربيّ طبع حياته بنجاح تجاريّ لافت في هولندا 95
عبد الرحمان العيساتي.. مغربيّ حمله الوَعي إلَى البحث الأكاديميّ بهولندا 99
ياسر حوطش.. مغربيّ قاده «الحلم الأمريكيّ» إلى التواصل بهولندا 105
عبد الرحيم آيت بن مُوح.. مغربيّ يرصد المحتويات الإعلاميّة بهولندا 111

لم تكن قد تعلّمت التواصل بلسان أهل الأراضي المنخفضة، كما أنها افتقدت سند الآل والأقارب، وتأثرت بالانشغالات المهنية لزوجها، الذي لم يكن يعود إلى البيت إلاّ بعد ساعتين من منتصف كل ليلة.

«لم أستطع التأقلم مع البقاء وحيدة في البيت، وكنت حُبلى في الشهر الثامن حين نجحت في إقناع زوجي، بعد طول إلحاح، بالموافقة على خروجي للاشتغال.. فكانت الانطلاقة عام 1977، بعملي كمنظّفة لدى شركة تقدّم هذه الخدمة..ثمّ وازنت بين ذلك وشروعي في تكوين من أجل إتقان اللغة أوّلا؛ ثم اجتزت امتحان السياقة، وراكمت شواهد تكوين في المجال المهنيّ الذي دخلته، وأخذت في تطوير موقعي وسطه»، تقول رحمة المودن.

للعُلاَ سَعيا

بحلول سنة 1980، تمكنت «ابنة طنجة» من الظفر بمسؤولية قيادة 7 منظفين بالشركة التي تشغّلها وتشغّلهم، وبحكم ميولها إلى البصم على خدمات تنظيف ممتازة، حظيت بترقيّة تلو الأخرى، إلى أن صارت مساعدة رئيس فريق من 200 مستخدم، فجاءت سنة 1997 بقطيعة بين رحمة المودن ومشغلها، فاختارت تأسيس مشروعها الخاص.

وعن تلك الفترة ومحدداتها، المبادرة تقول المودن: «كنت أنتظر تسميتي في منصب مسؤولية أكبر من الذي تواجدت فيه، لكنّ موجة التغييرات التي أشرفت عليها لجنة ذات صلاحيات في هذا الإطار أغفلت اسمي والدور الذي لعبته طيلة 20 عاما من الخدمة، ما دفعني إلى تقديم استقالتي»، تورد رحمة، قبل أن تسترسل: «قصدت إحدى الزبونات من أجل توديعها، وحين أخبرتها بما جرى رفضت التخلّي عنّي، وطلبت مني تأسيس شركة من أجل البصم على تعاقد يمكنني من صفقة التنظيف التي كانت لمشغلي السابق، كما حرّكت هاتفها لسحب ثلاث زبناء آخرين نحوي.. فكان ما كان».

استهلت رحمة المودن مشروعها بموارد بشريّة لا تتعدّى 7 أفرد، ثم أخذت في مراكمة التعاقدات مع جهات متعددة، من بينها بلديّة أمستردام. وبعد مضيّ سنتين نالت جائزة «المرأة الأوروبية العاملة»، فكانت تلك الطفرة التي جعلت كل العيون تتوجه صوبها، وانعكس عليها المعطَى إيجابيا، بحضور إعلاميّ واسع وكذا توافد عقود اشتغال إضافيّة.

وبشأن ذلك، تعلّق المودّن: «أسهم هذا التتويج، الذي التأم حفله أواخر التسعينيات بلندن، في نماء معاملات شركتي؛ ذلك أن الزبناء كانوا يعتبرون الإقبال على خدماتي

هجرة إلى الذات

ترى رحمة المودن أن أوضاع المغاربة تطورت بشكل ملفت عمّا كان عليه الحال قبل هجرتها إلى هولندا، وتعود بذاكرتها إلى التخوّف الذي كان يسكنها من معاملة حديثات الزواج في بيوتهنّ الجديدة، لكي تحسم أن «الوقت تْبْدْلاَتْ بْزَّافْ، وحْتَى الهِجْرَة مَا بقَى لِيهَا دَاعِي»، وفق تعبيرها.

ووفق المودن، فإن الشباب المغاربة الراغبين في خوض تجارب هجرة، عليهم الوعي بأن «المشاكل آخذة في التنامي مع استفحال مظاهر العنصرية والميز، وما تؤدي إليه من تقليص لفرص الشغل وسط ذوي الأصول الأجنبيّة».. لكنّ رحمة تُشجّع على خوض التجربة من أجل نيل خبرة ممكّنة من اكتساب مدارك معرفيّة، أو نقل مستجدّات تكنولوجيّة صوب الوطن الأمّ، معتبرة أن الهجرة الحديثة ينبغي أن تكون صوب الذات الجمعيّة.. ولأجلها.

وجب الإعداد لذلك معرفيا»، يقول هِلاليّ وهو يشبّه تلك الفترة برجل يقف على جسر، فلا هو بهذه الضفّة ولا بتلك.

بحث عن الذات

شقّ ابن مكناس مساره الدراسيّ بنجاح، حتّى التخرّج من السلك الثانويّ، وبعدها اختار الالتحاق بالتكوين الجامعيّ، من أجل التخصص في اللغة الإنجليزيّة وآدابها، على أساس التمكّن من مهنة التدريس بهذا اللسان العالميّ .. إلاّ أن التجربة استمرّت عاما واحدا فقط، ليغادر هِلالِي كليّة الآداب بجامعة أمستردَام.

اختار مصطفى ولوج سوق الشغل بالمجال المصرفيّ، وذلك بعدما تأثّر بالهيئة الأنيقة لمستخدمي البنوك بهولندا، فكان أن لازم مكانه وراء إحدى مكاتب فرع مؤسّسة ماليّة، معتادا على النظر إلى وثائق المعاملات المصرفيّة وأكوام الأموال لعامين متتاليَين، ثمّ قرّر القطع مع ذلك بعدما وقف على عدم ارتياحه في العمل بهذا القطاع.

«أحسست وكأنّي انسلخت عن ذاتي في هذا الاشتغال المكتبيّ. ومثلما لم أرتح للتعاطي مع الأدب الإنجليزيّ، وجدت نفسي غير متأقلم مع بيئة العمل في المصارف، مع حفظ الفوارق بين المجالين المتباينين .. ولذلك اخترت القطيعة ظرفيا إلى أن أفكّر مليّا، علّني أجد ما يجذبِني حقّا»، يعلّق مصطفى هلالي على تلك المرحلة.

حمل السلاح

يقول مصطفى: «ببلوغي سنّ الـ18، نلت الجنسيّة الهولنديّة، وكان ذلك، من جهة، مكمن سعادة لأنّه سيمكّنني من كل حقوق المواطنة بالأراضي المنخفضة، لكن، من جهة ثانية، كان يثير تخوفي من إمكانيّة استدعائي للتجنيد .. فقد كنت شابّا عاشقا للحريّة، وإمكانية إيداعي ثكنة عسكريّة أخافتنِي للغاية .. لكنّ توالي الأعوام جعلني أستحضر المعطى بشكل دائم في مخيّلتي التي تؤمن بالتجربة والخطإ».

حين غادر هِلالِي عمله المصرفيّ، تيقّن بوجود رغبة لديْه في المغامرة بولوج الجيش الهولنديّ، خاصّة وأنّه كان قد تأثّر بأقارب له مجنّدين بالقوات المسلّحة الملكيّة المغربيّة، وأسهم احتكاكه بهم، خلال فترات العطلة الصيفيّة التي كان يقضيها كل عام بالوطن، في وضوحِ طبيعة العمل العسكري أكثر لديه.

يعود الهولنديّ ذو الأصول المغربيّة بذاكرته إلى ما قبل 20 عاما من الحين كي يقول: «فكّرت كثيرا في الجيش كبوابة لتغيير حياتي، وأقنعت نفسي بإمكانية خوضي التجربةَ بناء على تعاقد يستمرّ ثلاث سنوات، وعقب انقضائها، أقرّر ما إذا كان بإمكاني

الترابين الأفغانيّ والعراقيّ، وخضع سنة 2012 لبرنامج تكوين أكاديميّ إضافيّ بالمدرسة الحربيّة، استمرّ مدّة عام ونصف العام، ثمّ التحق بمكاتب وزارة الدفاع الهولنديّة، بينما يشتغل حاليا بمدينة «أوتريخت» وسط القيادَة العسكريّة العليَا للبلاد.

نقد ذاتيّ وAudace

يستجمع مصطفى هِلالي أفكاره قبل أن يعلّق على مساره بالقول: «الأمور سارت بشكل جيّد، فقد أصبت في اختياري الذي استكمل عشرين عاما من الخدمة العسكريّة، وأنا الحين برتبة مُلازم عقيد (Lieutenant-Colonel)»، ثمّ يضيف: «لا حدود للمستقبل؛ إذ يمكنني التقدّم في الرتب أكثر، لكنّ ذلك ليس ذا أهميّة بالنسبة إليّ، وتركيزي منصب على دوافع الاختيار التي ترتبط بتقديم خدمة للنّاس الذين أضحوا خائفين أكثر من أي وقت مضى، متأثرين بالتوجسات من الحروب والإرهاب، ومهمتي نزع هذا الخوف وتوفير الحماية، لذلك أرغب في الاستمرار بأداء هذا العمل حتّى التقاعد».

«هناك العديد من الشباب الذين يحبذون استشارتي في اختياراتهم لمساراتهم المهنيّة، ويقولون: أنت نجحت في الجُنديّة، هل يمكن أن نصير مثلك؟ .. ولهؤلاء وغيرهم أقدّم نصيحة عسكريّة صرفة L'audace, l'audace .. toujours l'audace»، يورد العسكريّ الهولندي ذو الأصل المغربيّ، قبل أن يسترسل: «على الناس أن يقوموا بما يحبون، مثلما فعلت أنا.. إذا كانوا يحبون الموسيقى فعليهم بهذا الفنّ .. على الكل أن يتواجد بالموقع القريب من راحته، وأن يحسموا خياراتهم بشكل تامّ دون بذرة شكّ، أمّا الحيرة فهي من محبطات العزم وسُلّم نحو الفشل».

13-3578

«لاقَيت صعوبات جمّة خلال هذا الترحال، فقرّرت العودة إلى فرنسا من أجل القيام بمحاولة لإتمام دراستي المتوقّفة في مستوَى الباكلوريا بالوطن، لكنّ طريق عودتِي عبر أمستردَام جعلتني ألازم هولندا التي لم أغادرهَا حتّى الآن».

ما إن وجد المغربيّ الهولنديّ نفسه وسط دوّامة فرض الذات بالأراضي المنخفضة حتى ضبط إيقاع حياته على البحث عن المأوَى والمأكل والمشرب والملبس، مقدما على تجارب مهنيّة بسيطة هنا، وأخرى من مثيلاتها هناك؛ فعمل، بادئ استقراره في هولندا، وسط محلّ لبيع الأكلات السريعة بأمستردام، يملكه مغربيّ متأصّل من مدينة مكناس، ما مكّنه من تسوية وضعية إقامته بالبلد ومنحه خبرة في مجال الطبخ نقلته صوب مطعم كبير شغل به مهمّة كبير الطباخين..ويعلّق نزيه على هذه المرحلة بالقول: «مدّ البعض يده للمساعدة مثلما امتنع آخرون.. أنا مُمتنّ لكلّ من وقف بجانبي وقتها، خاصّة أن الأمر كان صعبا جدّا ولم يطابق تصوّراتي البدئيّة».

تعديل المسار

حاول مصطفى نزيه تصحيح مسار حياته بالمهجر، انطلاقا من الإقبال على تعلّم اللغة الهولنديّة، محاولا الموازنة بين هذا المسعى التكوينيّ واشتغاله المهنيّ؛ لكنّ الطفرَة تحقّقت حين رصده إعلانا لجهاز الوقاية المدنيّة الهولنديّ، يكشف البحث عن عناصر جديدَة، فأفلح ابن الدار البيضاء في تخطّي الاختبارات والظفر بمنصب مهنيّ قلب حياته رأسا على عقب.

يستجمع نزيه ذكرياته وهو يسرد: «أنا مهتمّ بالمهن الحكوميّة منذ صغري بفعل انتماء والدتي إلى سلك التعليم، واشتغال أخي في البحريّة الملكيّة المغربيّة، وميولاتي متحققة تجاه مساعدَة النّاس من موقعِي، وبذلك تشجّعت على التقدّم إلى امتحان الوقاية المدنيّة عام 1993، وقمت بتسريع تكويني اللغويّ صباحا، واشتغالي طبّاخا بقيّة النهار، قبل أن يحلّ الليل وأشرع في المران الرياضيّ للرفع من لياقتي البدنيّة التي اكتسبت قسطا وافرا منها من ممارستي السباحة بمعيّة نادي الوداد البيضاويّ».

«ولجت المركز الهولنديّ لتكوين الإطفائيّين والمسعفين في فاتح نونبر 1993، وذلك بعدما نجحت في الاختبارات المعرفيّة والبدنيّة..وهنا حضرت تجربة مريرَة أذكاها كوني المغربيّ الوحيد في المجموعة، لكنّ الإرادة والعزيمة والتوفيق كانت أسلحتي من أجل تخطّي المرحلَة التي استمرّت ستة أشهر، بينما أحسست بها كدَهر مرّ عليّ»، يردف مصطفى نزيه الذي عُيّن، أوائل مساره المهنيّ البديل، بثكنة إطفائيّين متعاطين مع المخاطر التي تُرصد بالمنطقة الشمالية من العاصمة الهولنديّة.

الجديد، إلى معاودة سنوات التعلّم المدرسي من المستوى الأوّل؛ وذلك بفعل عدم إتقانها لغة البلد الأوروبيّ الذي وفدت عليه.

«كنت في العاشرة من العمر حين انتقلت إلى هولندا، بعد أن استوفى أبي مسطرة التجمّع الأسريّ التي يتيح القانون لجوءه إليها من أجل نقلنا كي نعيش معا»، تورد رشيدة، قبل أن تفصّل: «عدم إتقاني للغة الهولنديّة اضطرّني إلى أن أعود سنوات إلى الوراء بعدما كنت في المستوى الخامس بمدرستي المغربيّة، لكنني تمكنت من ضبط لسان أهل بلدي الجديد في شهرين كي أتخطّى هذا التعثّر وأشرع في مواكبة الدروس».

اندماج بتدرّج

تقرّ الهولنديّة المغربيّة نفسها بأن ما كان يتيحه صغر سنّها من تعلّم سريع، حين وصولها إلى الديار الهولنديّة، لم يكن قادرا على محو تطبّعها بإيقاع الحياة في البيئة الريفيّة المغربيّة بسلاسة، إذ عمدت إلى مطالبة والديها بإعادتها نحو شمال المغرب، غير ما مرّة، عند مصادفتها لأيّ صعوبة في التعاطي مع مشاركيها التواجد بالأراضي المنخفضة.

«وجدت صعوبة في الاندماج، لكَون أسلوب العيش لم يوافقني بعاداته التي لم أكن أعرف عنها الكثير، ولو كنت ألفَيْت طريقة تعيدني وقتها إلى المغرب للجأت إليها دون تردّد»، تعلّق الموساوي، ثمّ تواصل: «العامان الأوّلان كانا محنة حقيقية بالنسبة إليّ، واعتيادي الأجواء تحقق بعدها بحكم الاعتياد وأنا في سنّ مبكّرة نسبيا».

سير نحو الطبّ

لعب ضبط رشيدة موساوي للغة الهولنديّة أداء الهولنديّين نفسه دورا كبيرا في جعلها تحصّل على نقاط مرتفعة، وجّهتها صوب مدارس ذات مستوى عال؛ فكان دأبها على مجاورة تلاميذ من ذوي أصول أجنبيّة في الفصول وصل إلى نهايته وهي ترتاد ثانويّة في أمستردام لا يتاح التمدرس فيها إلاّ للمتفوّقين، وهم الذين كانوا هولنديّين بالكامل ضمن دفعتها.

«أتذكّر أنني كنت ما أزال بالريف، في المغرب، حين تعرّض أخي البالغ من العمر سنتين لحروق استلزمت نقله صوب المشفى، وذلك بعدما هَوت عليه طنجرة ملحقة أضرارا بجلده .. استغرق الأمر، حينها، ثلاث ساعات من السير إلى جواره، وهو موضوع على ظهر حمار، كي يتلقّى العلاج بالمستوصف الذي قصدته أسرتي كاملة.. كنت في عامي الثامن من العمر، لكنّني أخبرت جدّي، رحمه الله، برغبتي في أن

مبادرات مماثلة إن وجدت وقتا لذلك»، .. كما تعبّر الموساوي عن اهتمامها بدراسة علوم التسيير في السنوات القادمة، لترفع أداءها ضمن هذا الشق من الاشتغال الذي تمارسه فعليا بالمشفى الذي تقدّم فيه خدماتها العلاجيّة.

أمّا بخصوص الشباب الراغبين في التميّز ضمن مساراتهم، سواء بأرض الوطن أو وسط دول قد تستقبل هجراتهم، تقول رشيد موساوي: «هناك بدائل قد تغني شباب المملكة عن اللجوء إلى الهجرة.. ينبغي على المرء أن يحدّد ما يريده قبل أن يبحث عن البيئة التي قد توفر له مستلزمات النجاح، وإن أتيح ذلك بالوطن الأمّ فهذا أمر رائع ..المهمّ أن تسود اختيارات القلوب على إملاءات الوالدين أو المجتمع، لأنّ المسارات تتطلب جهودا مضنيّة، لا يساعد في تفعيلها غير التوجّه إلى ما يريده الإنسان لنفسه فعلا».

«عشت مرحلة بحث عن ذاتي بشروعي في التنقل ما بين تخصص أكاديميّ وآخر، لكنّي ألفيت طريقي بعد معاناتي من متاعب صحيّة تمثلت في سرعة تمكّن التعب مني، وبداية تساقط شعر رأسي، وما صاحب ذلك من اكتفاء الأطباء بطمأنتي دون البصم على تحسّن»، تقول يعقوبي.

وتزيد المتحدّثة ذاتها: «قمت بأبحاث على الإنترنيت أبانت أن ما شكوت منه يرتبط باعتماد تغذية غير سليمة، وبعدما تحسنت حالي قرّرت الانخراط في تداريب على العناية بالجسد من خلال التغذية والأنشطة البدنيّة.. أردت أن أساعد الناس على تغيير أنماط عيشهم من خلال تعريفهم بفوائد الأطعمة والرياضات».

سلبيات التمدّن

تعلن جميلة يعقوبي، من خلال تواصلها مع طالبيها في استشارات صحيّة، ومنهم عدد كبير من الهولنديّين ذوي الأصول المغربيّة، أن حياة التمدّن انعكست بسلبيّة على أجسام النّاس. ووفق الأخصائية ذاتها فإنّ الابتعاد عن الطرق التقليديّة لتحضير الوجبات، إلى جوار الاعتماد على مواد أساسيّة رخيصة، أضحى يهدد سلامة البشر بدنيا.

«نلت قسطا وافرا من التعلّم، لكنّي لم أعرف يوما أن إقبالي على تناول الخبز بكثرة أفضى إلى إعطاب نظامي الحيويّ، كما أني لم ألحظ أن تناولي للحليب كان وراء إصابتي بالحساسيّة» تقول يعقوبي، قبل أن تسترسل: «هذه المدارك ليست متاحة للجميع، وإن علا مستواهم الدراسيّ، فحياة التمدّن وما تستلزمه من سرعة غيبت تدقيقاتنا في ما نتغذّى عليه، كما أن ثقافة الاستهلاك التي تعمّ الحواضر تجعل قاطنيها عرضة لتلاعبات مموني الأسواق؛ حتّى إن أعداد المصابين بالسكري آخذة في التنامي بصورة مهولة؛ ولذلك اخترت أن أتخصص في ما يجعلني أوفر قسطا من المساعدة على هذا المستوى».

كتابة وتلفزيون

حققت جميلة يعقوبي وينوُود تراكما في كتاباتها الداعيّة إلى اتباع أوجه سليمة في التغذية من أجل الوصول إلى أساليب حياة إيجابيّة، وهي تتوفر على كتاب موجّه إلى الجاليّة المغربيّة بهولندا، تحديدا، يمسّ كيفية التعامل مع الطبخ المغربي للابتعاد عن الأضرار التي يمكن أن تسببها كثرة النشويات.

وتعلق جميلة على اشتغالها بالقول: «عدد كبير من مغاربة هولندا طالتهم السمنة والسكري وأمراض الضغط، على وجه التحديد، ما دفعني إلى البصم على

هوس بالإعلام

«أثث التلفزيون والمذياع فضاء عيشي الأسريّ دوما، وكنت أواظب على مشاهدة عدد كبير من البرامج السمعية البصريّة، مع ملازمة أكثر من قناة أثيريّة خلال طفولتي»، تقول ليلى عابد، وهي تحاول إيجاد مبرّر عقلاني لتحوّلها صوب دراسة علوم الإعلام والاتصال، ما بين سنتي 2001 و2003، بجامعة أوترِيخت.

وتضيف عابد: «حسمت في الاتجاه نحو مهنة المتاعب أوائل الألفيّة الثالثة، وذلك على الرغم من إيماني بصعوبة خوض التجربة، وخاصّة ما يتعلق بإيجاد فرصة شغل في هذا المجال الرافض للانفتاح على ذوي الأصول الأجنبيّة بهولندا .. لكنّي اخترت خوض التحدّي بولوج تكوين صحافيّ عال، فكانت تلك بداية حياتي المهنيّة التي لا تزال مستمرّة إلى الآن».

حافز الميز

تؤمن ليلى عابد بأن الممارسات التمييزيّة ضدّ ذوي الأصول الأجنبيّة تنتشر بهولندا بطريقة تجعلها ملاصقة لذرّات الأكسجين، وعن هذا الأمر تورد: «إن العنصريّة ممتدّة في كل مكان، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها»، قبل أن تتساءل: «هل وجود الميز السلبيّ يمكن أن يكون مشجبا لتعليق معاطف الفشل؟ هل يمكن أن يكون الميز ذاته سببا للاكتفاء بالتباكي ومراكمة التراجعات؟»، ثمّ تجيب: «أبدا! .. إن وجود العنصريّة حافز على رفع التحدّيات وتنمية العطاءات لتحقيق النجاح».

وترى ليلى أن ما يذكي التعامل العنصريّ في هولندا يكمن، على الخصوص، في عدم التمكن من اللغة، إلى جوار ما قد يتحقق في مسارات فرديّة عديدة من غياب للاندماج المجتمعيّ .. قبل أن تخلص إلى أنّ: «تطوير المهارات، والمواظبة على العمل، والقيام بما يتقنه المرء، هي مفاتيح تجعل تأثيرات العنصريّة هامشيّة للغاية».. وتعلّق: «بهذه الطريقة طوّرت نفسِي وحققت التقدّم الذي يبقى، من وجهة نظري، إيجابيا جدّا».

التحقيق المطلوب

ولجت ليلى عابد إلى المجال الإعلامي وهي لا تزال في طور التكوين بجامعة أوتريخت؛ إذ اتصلت بها إدارة الشرطة من أجل تقديم برنامج بعنوان «التحقيق المطلوب» .. «لقد كان ذلك أوّل لقاء لي مع الجمهور، ولعبت أصولي المغربيّة، بما تحمله من إتقاني للغة العربية الدارجة، دورا كبيرا في إتاحة هذه الفرصة لي .. ما

ارتياح ونُصح

«أنا راضية جدّا على ما حققته إلى حد الآن، رغم كوني لم أصل بعد إلى المرتبة التي أبتغيها لنفسي، لكنّي أحمد الله الذي وفّق جهودي التي أبتغي بها أن أكون نشيطة في المجتمع .. أنا راضية على قيامي بالعمل الذي أحبّه .. وأنا راضية أيضا لاشتغالي مع الهولنديين والمغاربة وأناس من مناطق شتّى بالعالم ..بينما الطريق لا تزال أمامي لتحقيق ما هو أفضل»، تقول ليلَى عابد.

وبناء على تجربتها في المهجر، وهي التي خاضت غمار التجربة دون وعي قبل 37 عاما ونيف من الحين، ترَى ليلى عابد أن كل مقبل على خوض مغامرة البحث عن الذات في بيئة مجتمعية غير تلك التي يتحدّر منها، ينبغي عليه أن يمتثل لضوابط الحياة، وفق تعبيرها، محددة إياها في التشبع بالأفكار الموضّحة للرؤى السليمة، المرتبطة بخدمة الذات والأغيار، إلى جانب اعتياد النهوض فور التعرض للكبوات، وعدم التخلي عن أي من الأهداف المنشودة .. تمّ العمل، والعمل، ولا شيء غير العمل، من أجل الوصول إلى المبتغَى.

يصطحبنا في خرجات عدّة من أجل التعوّد على التواجد في هولندا، لكنّ عيشتنا بالمنزل بقيت مغربيّة صرفة؛ ما جعلنا نبرز وكأننا نتعايش مع بلدين وثقافتين لا وجود لما يجمعهما بتاتا»، تعلّق ربيعة.

فُقدان الأسْتَاذَة

في لحظة نوستالجيا، عادت بها إلى ما قبل سنة 1977، تقول ربيعة بوحلحول إن خطوة الهجرة الجماعيّة لأسرتها نحو هولندا جعلتها تفقد حلمها البدئيّ الملتصق بالتحوّل إلى أستاذة للغة الفرنسيّة، إذ كانت تراهن على استمرار تفوقها الدراسيّ في زايو كي تنال شهادة باكالوريا وتتقدّم لتكوين في مهن التربيّة بنيّة شَغْل منصب تدريسيّ لـ«لغة مولِيير»، وتضيف: «كان ذلك حلما حملته وحاولت رعايته حتّى يتحقق فخر أسرتي بي، لكنّ الانتقال إلى هولندا محاه بين عشيّة وضحاها».

وساهم إتقان ربيعة للغة الفرنسيّة، كتابة ونطقا، في ضمان قسط من التواصل مع أوائل أساتذتها في المدرسة الهولنديّة التي ولجتها للاستمرار في تعليمها الابتدائيّ، حيث كانت تعبّر عن ذاتها بهذا اللسان لاستثمار فهم مدرسيها الفرنسيّة، منتظرة تحقق ضبطها التعامل باللغة الهولنديّة .. وتفيد بوحلحول بخصوص تلك الفترة: «حققت اللغة الفرنسيّة بواكر تفاهمي مع محيطي المدرسي الهولنديّ، من خلال الأطر التدريسيّة التي تعاملت معي. وبفعل إيمان والدي بأن التواجد على الأراضي الهولنديّة يبقى ظرفيا؛ في انتظار عودة رآها مؤكّدة التحقق صوب المغرب، كباقي أفراد الجيل الأوّل من الهجرة، طلَب تلقيني مهارات في الخياطة والطبخ؛ بينما جَارَيت هذا النهج بدوري من خلال الإقبال على تعلّم أبجديات التجارة، لعلّني أعود إلى الوطن الأمّ وأحترف البيع والشراء؛ لكنّ مرور الوقت أبرز خطأ كلا التوقعين».

ميولات جمعويّة

حرصت ربيعة بوحلحول على الانفتاح، بتواز مع وصولها إلى مرحلة الدراسة الثانوية ونيلها شهادة باكالوريا هولنديّة، على شريحة عريضة من ساكنة محيطها المتأصلة من المغرب، بتركيز خاص همّ شريحة النساء؛ ما مكّن المهاجرة من التعرف على الإشكايات التي يلاقينها في تربية أبنائهنّ وما يصاحب ذلك من صعوبات في التعبير عن إخفاقاتهن في حلحلة الصعوبات التي يلاقينها.. وقد تطوّرت، وفقا لهذا الانشغال، ميولات ربيعة إلى العمل الجمعويّ، وجعلها هذا الخيار تبصم على مبادرات

الهولنديّة المغربيّة نفسها، من موقع اشتغالها الآن في لاَهَاي، الذي وفدت عليه من زايو، مرورا بروتردام ونواحيها، تعكف بشكل يوميّ على تقديم مقترحات حلول للمشاكل التي تعترض شؤون التدبير البلديّ في الأراضي المنخفضة، متخصّصة في كل ما يعترض اندماج ذوي الأصول الأجنبيّة فوق التراب الهولنديّ، بتركيز على محاربة التطرّف وتحسين العلاقات بين المنتمين إلى ثقافات أصليّة متباينة يزخر بها العيش في هولندا.

ثقة في النفس

تقرّ «ابنة زايو» بتحقق رضاها التّام عن المسار الذي بصمت عليه في الأراضي المنخفضة، وتبتسم كلّما تذكّرت مرحلة التيه التي عاشتها خلال الأعوام الأولى من وفودها على البلد، وتقول: «سُرق حلمي الأوّل حين جاءت صدمة الرحيل عن وطني الأمّ، لكنّي عانقت حلما بديلا ارتبط بتقديم يد العون للراغبين في التعريف بمشاكلهم، علّهم يتخطّونها، وحاولت من هذا المنطلق الوصول إلى مقاربات تشاركيّة يحضر الجميع فيها بحثا عن الحلول..والآن مازلت أتوفر على طموحات تتصل بضرورة القضاء على التعابير العنصرية ومظاهر التخلف، مع تحييد الأحقاد وإشاعة التعايش والاحترام».

بناء على الخبرات المحققة من مسار ربيعة بوحلحول ترى الهولنديّة المغربيّة نفسها أن من وصفات تحقيق النجاح ما يستند على قسط غير هيّن من البذل بكلّ أمانة وإخلاص لأجل الفرد والمجتمع، مع بذل قصارى الجهود في سبيل الحد من السلبيّات التي تعيق التقدّم نحو غد أفضل، دون إغفال ما يتوجّب من حرص على إيجاد بدائل لكل حلم مُجهض» .. وتزيد بوحلحول في السياق نفسه: «ينبغي ألّا يتوقّف الناس عن معانقة الأحلام كلّما استطاعوا إلى ذلك سبيلا في هذه الحياة، والأهم أن يتحلوا بالثقة في أنفسهم .. إذ دون الثقة في القدرة على التقدّم، سيسود اليأس وتتضخّم فرص الفشل .. ولا يهمّ أن يكون المرء متحدّرا من وسط فقير ماديّا، لكنّ الفقر المعنويّ يبقى فاعلا سلبيا يستوجب الاستئصال».

POLITIE

تدرّج بوعياد بسهولة بين أطوار التعليم الابتدائي والإعداديّ والثانويّ في أمستردام، إلى أن تحصّل على الباكلوريا، بحلول أوائل عقد التسعينيات المختتم للألفيّة الماضيّة.. ويعلق بناصر على هذا الشوط العمريّ بتأكيده أن عيشه في أمستردام مكنه من «الوعي بمناخ الحريّة والانفتاح الباعث على الجدّ»، ويسترسل: «كانت الأمور جيّدة في غياب أي صعوبات تذكر.. كان مناخ العيش بهولندا حينها أجود بكثير مما هو الحال عليه الآن».

تجربة بوليسيّة

شاء بناصر بوعياد، سنة 1993، أن يرتبط بعطاءات رجال الشرطة ونسائها، بعدما أفلح في عبور مباراة القبول باقتدار، وخضع طيلة شهور إلى برنامج التكوين الممكّن من مهارات التعاطي نظريا وعمليا مع عوالم الإجرام، قبل أن يلتحق بأرض الميدان من خلال التواجد في شوارع أمستردام.

«خضعت لتداريب إضافيّة ممكّنة من مدارك علميّة أكاديميّة ذات صلة بتخصصي المهنيّ، كما لقيت تأطيرا من ذوي خبرات في إيجاد المبحوث عنهم، زيادة على صقل مهارات في الشرطة القضائيّة وتخصصات أخرى»، يقول بوعياد، قبل أن يضيف: «كانت الدراسة الأساسية في معهد الشرطة من سنتين، بينما التدريب استغرق ستة أشهر، ثمّ عدت إلى أكاديميّة البوليس لمدة اثني عشر أسبوعا إضافيا قبل تعييني في أمستردام».

رئاسة منطقة أمنيّة

نجح الشاب الأربعيني الهولندي ذو الأصول المغربيّة، من خلال مساره المهنيّ الناجح في صفوف شرطة الهولنديّة، في الظفر برئاسة منطقة أمنيّة مهمّة ابتداء من العام 2015؛ فأصبح بناصر بوعياد رئيس شرطة أمستردام الغربيّة التي تتحمّل مسؤولية التعاطي مع القضايا الأمنيّة لـ250 ألف نسمة تتشكّل منهم ساكنة الفضاء الجغرافي المذكور، وهي التي ترتبط بـ184 جنسيّة، من بينها قرابة 40 ألف من ذوي الأصول المغربيّة.

لا يتردّد بوعياد في التعبير عن رضاه عن المسار المهنيّ الذي اختاره لنفسه، وكذا عن المكانة المتقدّمة التي حازها في تراتبيّة جهاز الشرطة الذي ينتمي إليه، قبل أن يستدرك: «صحيح أنني مرتاح مهنيا، ولولا ذلك لما راكمت ما يقارب ربع قرن من العطاء في هذه المهنة التي تبقى صعبة، لكنّي لا أضع مخططات لما أريد أن أغدو مستقبلا. ومقابل ذلك أحمد الله كثيرا على التوفيق الذي لازمني حتّى أصبحت أوّل

أذكر .. وفي الثانية عشر من عمري، انتقلت إلى مدرسة أخرى بمستويات أعلى، وفيها تواجد تلاميذ من جنسيات مختلفة، بالإضافة إلى هولنديّين».

وتعود بودونت بذاكرتها إلى مرحلة الطفولة الممتدّة على سنوات الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، قبل أن تسترسل: «كان تمدرسي بشكل جيّد يهم والدَي كثيرا، ولذلك أحاطاني، بمعيّة أشقّائي، برعايَة طغى عليها المنع من كثرة اللعب والتوفر على أصدقاء نلازمهم خارج المسكن، وبدلا من ذلك، كان يتم تشجيعي على ارتياد المكتبة العموميّة، وأنال ما يزيد عن حاجتي من الكتب والدفاتر والأقلام، بينما انحصر اللعب والنقاش بين أفراد الأسرة، داخل المنزل، ويتم تشجيعنا على مشاهدة البرامج التلفزيّة المختلفة، خاصّة التثقيفيّة والسياسيّة .. ما خلق بيئة مساعدة على التركيز في الدراسة بشكل ممتاز».

سلاسة في الاندماج

لم تُعانِ سميرة بودونت في تحقيق الاندماج وسط المجتمع الهولنديّ الذي وُلدت فيه، وتنفي أن تكون قد رصدت، في أي مرحلة من مراحل حياتها بالأراضي المنخفضة، انتقاصا أو ميزا أو عنصريّة من طرف أيّ كان .. وتعتبر أنّ عيشتها قد غاب عنها هذا الرصد الذي كثيرا ما سمعت عنه من كلام الآخرين، دون أن تُحسّ به أبدا.

«كانت لي صديقات هولنديات الأصل خلال مرحلة الطفولة، وكُنّ يبدين تفهما كبيرا لثقافتي ومعتقداتي الدينّية، لذلك لم أجد صعوبات تُذكر في هذا الشقّ بالمجتمع الهولندي .. حتّى حين شروعي في ارتداء الحجاب، وأنا ذات الأحد عشر ربيعا وقتها، لم أرصد أي اختلال في معاملتي كباقي البنات .. أظنّ أن طبعي الاجتماعي غير المُتطلّب قد ساعدني في ذلك»، تورد سميرة بودونت.

اختيار الغَير

تعترف المحامية الهولنديّة المغربيّة بكون اختيارها دراسة العلوم القانونيّة، بجامعة أمستردام ما بين 1996 و2004، لم يكن خيارها بالمرّة، وأنّها كانت ترغب في دراسة اللغات التي خبرتها أثناء مرحلة الباكالوريا، وهي تُبدي مهارات في الحديث بالإنجليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة، فضلاً الهولنديّة.

تقول بودونت: «كان ميلي بارزا نحو دراسة تاريخ اللغة الهولنديّة وآدابها في جامعة أمستردام، لكنّ والدَاي كان لهما رأي آخر برفضهما هذا المسعى الذي عبّرت عنه، وطالباني بخوض تجربة الدراسات القانونيّة»، وتزيد: «صحيح أن قراءة كتب

حياة وإصرار

تؤمن سميرة بودونت بكون طبيعة الحياة، بما تشهده من محطات ومراحل وتقلبات، تدفع، في أحايين كثيرة، إلى الإحساس بالندم على عدم خوض تجربة هنا أو مغامرة هناك .. لكنّ المحامية الهولنديّة ذات الأصل المغربيّ تعي بأن قصر مدّة الحياة نفسها تجعل المرء يقرّ باستحالة تحقيق كل الأحلام التي تخالجه.

تُحاول بودونت أن تقسم تركيزها، بمناصفة قد تختلّ أحيانا، بين نجاحها المهنيّ الذي يلوح من كمّ الملفات التي تشتغل عليها، من جهة، وبين حياتها الأسريّة التي تجعلها سعيدة، من جهة ثانيّة .. مع تشبثها بطموح ورغبة مستقبلية في التدريس الأكاديميّ.

«أنا سعيدة جدا بما حققته على المستويين الشخصيّ والمهنيّ، لكنّ أرغب، صادقة، في مستقبل يجعلني أعمل أستاذة جامعية تُفرد بعضا من وقتها للبحث القانونيّ المقارن، خاصّة وأن طموحا يحذوني بأن أعدّ مؤلفات حول قوانين هولندا ومقارنتها مع مضامين القانون المغربي»، تورد المحاميّة.

ومن خلال تجربها في الحياة، ترى بودونت، ضمن نصيحة يمكن أن تقدّمها للراغبين في خوض تجربة الهجرة، أن الناس ينبغي أن يتحلّوا بالصمود القادر على جعلهم يواصلون التقدم نحو المستقبل، دون استسلام للعثرات التي قد تطول مساراتهم .. وتقول في هذا الشأن: «الوقوع لا يعني الاستسلام بقدر ما هو تحفيز على المقاومة والتشبث بضرورة الوصول إلى المبتغيات.. مع الوعي بأن النجاح لا يرتبط بالأموال أو بمستويات الذكاء، وإنما بالقدرة على التحسّن من خلال النظر إلى الأفق والسير نحوه بثبات».

LIMONOV
OOSTBLOK

كاملة للتكوين الأنجلوساكسونيّ مقابل عام واحد للتخصص الفرنكوفونيّ؛ وفي السنة الموالية لتخرّجها شرعت في أدائها المهنيّ من بوابة الترجمة.

كان الاستهلال بالتعاطي مع منتجات سمعيّة بصريّة تتوفر فيها قوّة الصورة التي استمالت حسناء بوعزّة منذ طفولتها، فأخذت في ترجمة أشرطة وبرامج من العربيّة إلى الإنجليزيّة والفرنسيّة والهولنديّة. وبتوالي الإشادات التي طالت أداءها، تمكّنت بوعزّة من الظفر بفرصة عمل داخل قناة VPRO التلفزيّة، واستمرّت تجربتها بهذا المنبر طيلة سبع سنوات.

وطورت حسناء كفاءاتها بما مكّنها من الاشتغال في برامج متنوّعة، وكان ذلك بميولات واضحة نحو التعاطي مع كل التيمات ذات الصلة بالقضايا السياسية والاجتماعية والثقافيّة، كما وازت بين هذا المسار وتكوين جعلها متمكّنة من أجرأة الرؤى الإخراجيّة الخاصّة بها.

وانفتحت بوعزّة على الكتابة الصحافيّة من خلال تجارب متنوعة، متناولة في ذلك قضايا منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط، المشتهرة بتسميّة «العالم العربيّ» لدى المتلقّي الهولنديّ.

تباين ثقافيّ

تقول بوعزّة إن رهانها يبقى دوما، كما كان أبدا، متصلا بتقريب هوّة التباين الثقافي التي يحملها المخيال الهولنديّ بين ثقافته الأصل وتلك المرتبطة بثقافات «العالم العربيّ»، وتزيد: «التعاطي الهولنديّ يميل إلى إبراز صور نمطيّة عن الحيز الجغرافي الممتدّ من المحيط الأطلسيّ إلى الخليج العربيّ، مهتما بالإرهاب والكره والعداءات وباقي المشاكل التي تغيّب وجود أناس حاملين لأحلام راقيّة وطموحات متميّزة. ولذلك حاولت أن أخاطب هذا المتلقّي الأجنبيّ من مواقع عدّة، تارة بالحرف والكلمة، وأخرى بالصوت والصورة».

وتضيف: «على سبيل المثال لا الحصر، يتحدّث الهولنديون عن المرأة المسلمة، لكنّهم لا يتكلمون معها، وبالتالي تبقى العديد من الأحكام المسبقة ساريَة دون نيل فرصة لدحضها..وقد اخترت الاشتغال على برنامج تلفزيون يتحدّث إلى هذه الفئة الأنثويّة، مع تمكينها من سرد حكاياتها وإبراز طموحاتها، بدلا من الاقتصار على رؤى الغربيات المدافعات عن حقوق النساء.. ولازلت أشتغل عبر هذه المقاربة إلى جوار مواظبتي على الكتابة في مواضيع شتّى، بميز إيجابيّ للتعاطي مع الثقافة وتأثيراتها الكبيرة».

صحافة وإبداع

حلمت فلكاطة، منذ صغرها، بأن تغدو صحافيّة رغم كون خيارها لم يكن يليق بغير الهولنديّين، وفق تصوّرات كثيرين وقتها، ومن بينهم والدها الذي أبدى تحفّظا على هذا التوجّه، عندما عبّرت عنه رجاء حين وصلت إلى مرحلة الحسم، ما بعد التخرّج من الطور التعليميّ الثانويّ.

«عملت والدتي على رعايتي دراسيّا، بحكم سابق تعلمها في هولندا بدورها. أذكر أن أمّي ساندتني بترافعها عن قدراتي أمام لجنة توجيه كانت قد ارتأت دفعي نحو خيارات بسيطة. ولن أكشف سرّا إذا ما قلت إن هذا الأمر أفلح في تقويّة إمكاناتي، حتّى تحصلت على الباكالوريا، ثم شرعت بعدها في تكويني الصحافيّ وسط مؤسسة قصدها عدد محدود جدّا من ذوي الأصول غير الهولنديّة، بنيّة التعامل مع مهنة المتاعب»، تورد فلكاطة.

أمّا خالد واعزيز فاختار أن يؤسس مساره المهنيّ على دراسة علم التصوير في «مَافُـو» الهولنديّة، بعدما مالت طموحاته صوب الإبداع البصريّ المستثمر لتلاقي الأنوار مع اللقطات والمشاهد، لكنّ هذا المنطلق لم يقنعه لاحقا، ما حدا به إلى المرور نحو مسار بحث إضافيّ، ارتبط، لبعض الوقت، بالعطاء الإداريّ قبل أن يستقرّ على التعابير الموسيقيّة.

ويقول واعزيز بهذا الخصوص: «تعرّفت على الإنتاج الموسيقي من خلال مطالعات جاورت احتكاكي ببعض الفاعلين في هذا المجال، ما حدا بي إلى خوض غمار التجربة التي استدعت اهتمام ميولاتي الإبداعيّة الأصليّة؛ ولتحقيق ذلك عدت إلى التكوين النظري المركز على هذا المضمار الفنيّ، ووازنت بين التمكّن دراسيا والعطاء ميدانيّا».

رحلة بحث مزدوجة

كان أوّل اشتغال لرجاء فلكاطة، بعد تخرجها، كمقدّمة للأخبار في «راديو أمستردام FM»، ومنه وسّعت آفاقها بالانضمام إلى تلفزيون «AT5» في العاصمة الهولنديّة، كأول مغربيّة مقدّمة للنشرات في أمستردام؛ وتعلّق على ذلك بتنصيصها على أن هذه الانطلاقة شكّلت لها فخرا أمام محيطها وهي تقتحم عالما يعدّ، في المخيال الجمعي بعموم البلاد، حكرا على الهولنديّين.

وتضيف المغربيّة الهولندية: «كانت هذه البداية، التي استغرقت عامين ونيف من الزمن، حافزاً لي على المستوى الشخصي حتى أواظب على البذل والتطوّر، كما أنّها مكنتني من فرص اشتغال بديلة بعدد من القنوات التلفزيّة الهولنديّة كمعدّة برامج، وبذلك نأيت عن الوقوف أمام الكاميرات».

فريق من 20 شخصا يعمل على هذا التعامل مع مستلزمات هذا المشروع المتجدّد طيلة أيام العام».

ويعتبر خالد واعزيز أن «توب 100»، الذي يشارك في تحقيقه بمعيّة رجاء فلكاطة، ظفر بإشعاع أكبر من ذلك الذي كان يرجى منه، ويسترسل: «نتوفر حاليا على شركاء من مختلف المشارب، وهم يثقون في اشتغالنا ويقرّون بتفرّد المبادرة وحمولاتها الثقافيّة..نحن فخورون بهذا النجاح الذي ينمّي طموحاتنا؛ كما أننا، في مجموعة العمل برمّتها، راضون عن الأداء الذي يتأتّى باستناد على الواقعيّة بنيّة إبراز عطاءات الجاليات في تنمية هولندا، رغم الصعوبات التي تحيط بعمليات البحث والتنقيب التي تجري بشكل متواصل حتّى تصل إلى 100 من المتميّزين كل عام، بمناصفة بين الرجال والنساء ضمن النسخ الأخيرة».

تناغم وتفرّد

الثنائيّ رجاء وخالد مقترنان ببعضهما، منذ ما يفوق خمس سنوات، وعن تناغمهما الأسريّ تقول فلكاطة: «نشترك في أمورنا الشخصيّة والمهنيّة باعتبارنا متزوجَين وشركاء؛ وكل ذلك يتم دون صعوبات ملفِتة»، وتواصل: «من الطبيعيّ أن نتناقش بحدّة من حين لآخر، لكنّ هذا التعامل يبقى في حدوده الطبيعيّة التي تمحوها مساحات من المرح والجد والإيجابيّة والاحتراف..لدينا أهداف مشتركة أكثر مما قد يقودنا نحو سوء فهم».

ومن منطلق خبرته الحياتيّة، يرى واعزيز أن الأجيال المستقبلية الراغبة في البحث عن ذواتها، بتجارب تقودها إلى النجاحات، عليها أن تتحلّى بقسط وافر من الشجاعة والإقبال على التحديات..»لا شيء من الإيجابيات يتأتّى دون صعوبات تُخاض، بينما يكثر المُحبِطون الذين ينبغي تجاوز محاولاتهم الناشدة لوسم مسارات الناس بسلبية. وللنأي عن كل ذلك، يتوجّب تحديد الأهداف وإذكاؤها، بالحرص على التواصل دوما مع الإيجابيّين من الأغيار لنيل التحفيزات»، يفيد خالد.

من جهتها، ترى رجاء أن الأوضاع الحالية في هولندا، كما بمعظم أرجاء القارة الأوروبية، تتسم بالقسوة التي يكشفها تنامي الممارسات العنصرية والتحامل على الإسلام والمسلمين؛ لكنها تستدرك: «ما يجري ينبغي ألا يؤثر على الافتخار بالأصول الهوياتيّة..وعلى المغاربة، تحديدا، مداومة استحضار انتمائهم الأصليّ ..يجب عليهم أن يعرفوا من أين أتوا، وألا يتناسوا تضحيات من ساقوهم إلى هذه الحياة، حتّى يبصموا على ما بمقدوره محو الصور النمطيّة التي تغزو الأذهان وتنال تعاطيا إعلاميا واسعا يركّز على من سقطوا في براثِن التطرف والعنف».

تكوين رقميّ

ولج محمد بوبكر جامعة أمستردام لنيل تكوين في ما يتطلبه التعامل مع العوالم الرقميّة، فكان أن تخرّج منها، أواسط تسعينيات القرن الماضي، مجازا في البرمجيات .. لكنّه لم يتسرّع في البحث عن التزام مهنيّ بالرغم من انخراطه في مراحل تجريبيّة مختلفة ارتأى أن تحقق له المزاوجة بين المعارف النظريّة والخبرات الميدانيّة.

ظفر بفرصة لمواصلة تكوينه العالي في جامعة «تِيلبُورخْ» الهولنديّة بعدما قبل مكوّنو هذه المؤسسة ملفّه المرتبط بإنجاز دكتوراه في تطبيقات المعلوميات، ما جعل محمد بوبكر يتخرّج بتفوّق عند حلول سنوات العشرية الأولى من الألفيّة الحاليّة .. وتلقّى، بالتالي، عرضا للاشتغال بإحدى كبريات الشركات الأوروبية والعالميّة في المجال عينه.

تميّز بـ E&Y

يشغل محمد بوبكر مهمّة كبير المستشارين لشركة Ernst & Young بمقرّها في عاصمة الأراضي المنخفضة، وهي المؤسسة المشتهرة دوليا بتسميتها المختصرة «E&Y»، إذ يسهر المغربي الهولنديّ ذاته على ضبط مردوديّة 80 من الوظفين المتعاطين مع كيفية معالجة «البيانات الضخمة»، أو الـ «Big Data» وفقا لتسميتها الأنكلوسكسونيّة المتداولة بين الأخصائيّين.

كبير فريق الاستشارة الخاص بشركة E&Y يعمل، من المقر الكائن بأمستردام، على توفير أنجع الحلول لطلبات تريد التوفر على مُثلى طرق في تدبير «البيانات الرقميّة الضخمة»، وهي التي ليس بالمقدور مباشرة التعامل معها بناء على الأساليب المعلوماتية الكلاسيكّية، وبالتالي يسهر «بوبكر ومن معه» على توفير الحلول لإشكالات متصلة بتجميع وتخزين الـ «Big Data»، زيادة على ما يستلزمه الاستثمار فيها من بحث وتحليل ومشاطرة.

«نسهر على تقديم خدماتنا إلى كبريات الشركات، سواء كانت في هولندا أو خارجها، من أجل التفاعل مع المعطيات الضخمة التي يستدعيها تبني خيار التسويق الإلكتروني لمختلف المنتوجات. وبالتالي نتعامل مع طلبات ضخمة، يعود مردّ وفرتها الكميّة، بالخصوص، إلى الإقبال الكبير على موجَة نقل إسداء الخدمات نحو العالم الرقميّ»، يقول بوبكر.

أن اخترت دراسة العلوم الاقتصاديّة لدى وصولي إلى التعليم العاليّ، وتخصصت في شعبة تسيير المقاولات لتناسب ذلك مع تكويني التقنيّ .. فتخرّجت مهندسا»، يضيف الدرقاوي.

مجموعة اقتصاديّة

في بداية الألفيّة الحاليّة، شرع فريد الدرقاوي في خوض أولى خطواته الاستثماريّة، مراهنا على فرص التمويل التي ينالها الراغبون في شق طريقهم باستقلاليّة عن مبادرات الآخرين. ومع توالي السنين، تراكمت النجاحات، وغدا اليوم صاحب مجموعة اقتصاديّة مشكّلة من ثلاث شركات، اثنتان في مجال الخدمات الصحيّة المفتوحة أمام الخواص، بينما الثالثة تقدّم استشارات لمدبّري الشأن العام بخصوص «اقتصاد المدن». وينفتح فريد، أيضا، على استثمارات عقاريّة بالأراضي المنخفضة.

مكّن «الهولندينغ» الذي أنشأه المغربي الهولنديّ من خلق مائة منصب شغل مباشر في هولندا. وجهده الشخصيّ يفرده، أساسا، لإدارة شركة الاستشارة التدبيريّة، بينما يكتفي بوضع الاستراتيجيّات العامّة للاستثمارين الصحيّين اللذين يتوفر كل منهما على طاقم تسيير يسهر على رعاية شؤونه.

تخطّي الانتظارات

«أدير شركة في مجال اقتصاد المُدن متخصصة في تدبير الفضاءات التجاريّة، وتتعامل مع ما يزيد عن مائة مركز تسويقيّ .. لدينا زبناء من رجال الأعمال نقدّم لهم جملة من الأفكار الاستشاريّة الرامية إلى تطوير أدائهم؛ حيث نساعد قرابة أربعمائة فرد من هذه الفئة سنويا، كما نوفر لهم التكوينات التي يرغبون فيها»، يورد فريد الدرقاوي.

إلى جانب ذلك، يرأس الشاب المغربي الهولندي فيدرالية لمقاولي روتردام ونواحيها، بعضويّة 5000 من المستثمرين المحلّيّين، ويتولّى رئاسة نادي المقاولين المغاربة بهولندا .. وتشمل اهتماماته المهنيّة، كذلك، رئاسة مؤسسة عقارية تشرف على تسيير ما يقارب 50 ألفا من المساكن بعموم الأراضي المنخفضة.

وبشأن كل ذلك، يقول فريد الدرقاوي: «أنا راضٍ على كلّ ما حققته إلى الآن، ولا أفشي سرّا إذا ما عدت بذاكرتي إلى بداية تواجدي بهولندا كي أقر بأن ما وصلت إليه قد تخطّى كل انتظاراتي بكثير، خاصّة وأن زمن تغيير الوضع والرقي به إلى ما هو عليه الآن استلزم فقط خمسة عشر عاما».

وعن تلك المرحلة يقول نور الدين، مرتكزا على ما بقيت تحتفظ به ذاكرته: «أقراني وعوا باكرا بوجود توترات اجتماعيّة في البلاد، ما وفّر للغالبية حضور وعي سياسيّ وازن، استثمر في التأطير التلاميذيّ ضدّ تحركات القمع الكبرى»، ويضيف دحان: «سكني مع أسرتي بالثكنات العسكرية جعلني أعيش وسط ما أفرزته محاولتَا الانقلاب، حيث كنت قريبا من عموم الأحداث التي وسمت بواكر سنوات شبابي».

دراسة الطبّ

حاز نور الدين دحان شهادة باكالوريا علميّة من ثانوية مولاي يوسف بالرباط، وبعدها تحرّك صوب تحقيق حلمه في دراسة الطبّ .. «كنت حاسما مسبقا في اختياري المجال الطبيّ لمستقبلي المهنيّ بفعل سابق مرض جعلني أمكث أربعة أشهر في مستشفى مكناس»، يفيد دحان. ثمّ يسترسل: «لاقَيت معاملة سيّئة جعلتني أقرّر دراسة الطبّ من أجل المساهمة في تخفيف معاناة المرضى من هذا الموقع».

طموح نور الدين المرتبط بولوج كلية الطبّ لم يتمّ تحقيقه بسلاسة، جراء نشوء حركة احتجاجيّة نادت، أواخر سبعينيات الألفية الماضيّة، بعدم حصر الأسماء المقبولة في المنحدرين من شرائح اجتماعية عليا أو ذوي العلاقات الممكّنة من تخطّي العراقيل. وعن تلك الفترة يذكر دحان: «كنت وسط حركة مطلبية ناضلت من أجل ضمان التسجيل في كليّة الطبّ بالرباط لكلّ المستحقّين. وقد استمرّ الحراك لثلاثة أشهر متتاليّة قبل فتح أبواب التكوين الطبيّ أمام الفوج الأوّل الذي تواجدت في اللائحة الإسمية لأفراده».

تواجد نور الدين دحان بكليّة الطب في الرباط لفترة لم تتخطّ السنوات الثلاث قبل أن يتحرّك من أجل الهجرة إلى الأراضي المنخفضة. واعتبر أن رحيله عن الوطن كان قسريا حين قال: «هجرتي كانت إفرازا للوضع السياسي والاجتماعي الذي شهده المغرب وقتها، خاصّة سنوات الرصاص التي طال تأثيرها نضالات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب باعتقالات وتعذيب وملاحقات، فما كان منّي إلا شدّ الرحال صوب الخارج».

استمرارية بأمستردام

حرص نور الدين دحان على الانخراط في تعلّم الهولنديّة بعاصمة الأراضي المنخفضة التي حطّ بها الرحال قبل 34 عاما من الآن، قبل ولوج دراسة الطبّ إذ استفاد من مسار تكويني لغويّ سريع مكّنه من ضبط لغة البلاد في ظرف ثلاثة أشهر، قبل أن يرد اسمه ضمن لائحة من همّتهم القرعة للاستفادة من التكوين في مهن التطبيب.

شمال المغرب بفعل رصد حالات عديدة تستوجب العناية»، ويضيف: «اتفقنا على الشروع بالتكوينات قبل خلق وحدة بالرباط تشتغل منذ سنة 2012 وتستقبل عشرة آلاف طفل في السنة. وهذه تجربة مهمة تبرز كيف يمكن للخبرة الهولندية أن تخلق وحدات طبية ممتازة في المغرب».

«منذ مدة وأنا اشتغل على مستشفى للأم والطفل بشمال المغرب، لكنّي لم استطع أن اقنع وزارة الصحة، للأسف، بمساندة المشروع الذي أتصوره موفرا لـ150 سريرا في طنجة؛ لذلك قررت الاشتغال بالقطاع الخاص دون التوفر على أهداف تجارية، وارتأيت البدء في مشروع بناء المصحة غير الربحية التي أبتغيها نموذجية على مستوى الوطن الأمّ».

تغيير وتميّز

يرى نور الدين دحان بأن العالم عرف تغييرا جذريا بتخطيه منتصف العشرية الثانية من الألفية الثالثة، وما يعمّها من ثورة في التواصل، ومن هذا المنطلق يوصي الشباب المغاربة الراغبين في النجاح بتحقيق الانفتاح على المعمور، مع توجيه التركيز على تحقيق التميّز بدلا من الاقتصار على تحيّن فرص شغل كيفما كانت.

«المادّيات لا يمكن أن تكون أهدافا أصليّة لأنّها تتحقّق بناء على خوض تجارب معيّنة. وبالنسبة للراغبين في امتهان الطبّ، أقول إنّ الاغتناء لا يكون ملازما لهذا الأداء المهنيّ المتصل بالإنسانيّة أكثر من أيّ شيء آخر .. والحياة لا يمكن أن تُخاض غمارها إلاّ بحثا عن التموقع في مكان متيح للفعل الإيجابي المفيد للمجتمع. ومزاوجة هذا المُراد بالتطوّر الفكري المستمرّ كفيل بأن يحقق الازدهار للجميع».

بخصوص هذه «الهجرة المضادّة» تعلق رجاء علواني: «لقد كان المعطَى غريبا في نظر محيطي الذي عشت وسطه بهولندا؛ ذلك أن معارفي بالأراضي المنخفضة كانوا يقصدون المغرب من أجل قضاء العطلة الصيفيّة، بينما نحن كنّا نعاكسهم بتقضية العطلة في هولندا. وبفعل استدامة الاحتكاك بالبيئة الهولنديّة لم نفقد مهارات الكتابة والحديث بلسان هذا البلد، بل لم نجد أنفسنا دون اتصال مع هولندا من الأساس».

تحكي علواني عن قضائها مدة عشر سنوات رائعة بالمغرب، وبأنّ دراستها قد لُفّت بأوقات جميلة بالرغم من تباين إمكانيات التعليم حين المقارنة بين هارلم ومكناس، لكنّها تستدرك: «ما تعلّمته في المغرب جعلني على أرضيّة تكوينيّة متينة حقّا، وعلى سبيل المثال وجدت أن تعلم الرياضيات بالمغرب أعلى مستوى من نظيره بهولندا، ولا داعي للحديث عن الأجواء التي عشتها في وطني الأمّ، لأني حين أسمع ما ترويه قريناتي عما عشنه بهولندا تعليميا أحمد الله على تواجدي وقتها بالمغرب».

عودة إلى هولندا

في سنّ الثاني والعشرين، عادت رجاء إلى هولندا لمتابعة دراستها العليا المرتبطة بتحصلها على إجازة مغربية في البيولوجيا؛ إذ اختارت علواني التخصص أكاديميّا في المجال البيولوجيّ ذاته، لكنّها آثرت، في هذا المسار الجديد، التركيز على أبحاث المختبر ذات الصلة بالتعاطي الطبيّ.

انفتحت علواني، وهي تعيد معانقة الاستقرار بالديار الهولنديّة، على الاشتغال بالعمل التطوّعي، من خلال أحد مساجد مدينة «هارلـم» بتدريس فتيات من ذوات أصول مغربيّة. وتقول رجاء: «أعجبني هذا الأداء الاجتماعيّ، فأخذت أتساءل مع نفسي عن درجة ارتياحي في دراستي للبيولوجيا، وما إذا كان صائبا إقبالي على العمل الاجتماعيّ الذي وجدت نفسي أميل إليه. فما كان لي إلاّ أن غيرت مساري صوب دراسة نقلتني إلى التكوّن التربوي لأصبح أستاذة للتعليم الإعدادي، وبعدها خضعت لتكوين دراسي في توجيه الشباب ذوي الثقافات المتعددة. لم أمارس التدريس لاكتفائي بالتوجيه الذي لم أندم على اختياره».

توجّه وتوجيه

«لم أجد مشكلا في معاودة تحقيق الاندماج بالمجتمع الهولنديّ، لا لشيء إلاّ لأنّ هذا البلد هو وطني مثل المغرب. لم أحسّ أنّي حققت استقرارا بفضاء عيش غريب عليّ، فمدينة هارلِم أعرفها، لكنّي تعرضت لبعض المشاكل العنصريّة التي تطول أيضا غالبية المغاربة والمسلمين، خاصّة أنني أحرص على ارتداء الحجاب. تخطّيت

بحث عن الكرامة

إقبال آل مركُوش على الاستفادة مما يمكّنه التشريع الهولندي في باب التجمع العائلي أملاه تغيّر نظرة ربّ الأسرة لمستقبل الهجرة، إذ كان يعمل على محاولة توفير مقدار من المال بنيّة العودة إلى حياته الأصلية بمنطقة الريف المغربيّة، وأن ينشئ مشاريع مدرّة للدخل كي يضمن مستقبل أبنائه، لكنّ نهاية السبعينيات أثبتت له أن حلمه لن يتحقق بما خطط له، فقرّر الالتحاق بالجيل الثاني من المغاربة المهاجرين إلى الديار الهولنديّة.

«لم نكن مُهيّئين لملاقاة المجتمع الهولندي، مثلما لم تكن هذه البيئة مستعدّة لاستقبالنا وقتها، وما زلت أذكر كيف كنت، وأنا ابن العاشرة من العمر، أتعامل بالمدرسة التي قصدتها وأنا أُميّ. هناك تعلّمت كيف يمكنني إمساك الأقلام قبل أن أشرع في تعلّم القراءة والكتابة، فكان الأساتذة لا يدخرون جهدا لجعلي أحرز التقدّم تلو الآخر، مراعاة لوضعي الاجتماعي والعُمريّ» يقول أحمد مركوش.

تمكّن المغربيّ الهولنديّ من ضبط القراءة والكتابة في عامين من التكوين الدراسي السريع، ثمّ عمل والده على إلحاقه بمؤسسة للتكوين المهنيّ من أجل اكتساب معارف ومهارات في أشغال البناء عموما والنجارة بوجه خاصّ، إيمانا من الأب بأن اكتساب «صَنْعَة» يوفر الكرامة ويحقق العيش بشرف. فكان أن أنهَى أحمد مركوش هذه المرحلة التكوينيّة بنجاح قبل أن يغيّر ميولاته ويتجه إلى تكوين للممرضين، وبعد الاشتغال لفترة كـ «ملَاك للرَّحمة» اختار العملَ بمؤسسة صناعيّة مدةَ ثلاث سنوات، وخلال هذه المرحلة حاول تنظيم وقته لتحسين مستواه المعرفيّ، فكان يقدم على العمل نهارا ثم يتفرّغ للدراسة ليلا.

أمن وتعليم وسياسَة

يصرّح أحمد مركوش بأنّه لم يتوقف، منذ تواجده بهولندا، في الطرق القادرة على تمكينه من مواصلة الارتقاء اجتماعيا، مع الحرص على التموقع بمراكز تجعله فاعلا إيجابيا بفضاء عيشه الضيق والفسيح. ويضيف: «أوائل تسعينيات القرن الماضي، رصدت إعلانا لشرطة أمستردام يكشف بحث الجهاز عن موظفين جدد، فكان أن تقدّمت لاجتياز الاختبارات التي فلحت في تخطّيها، وبدأت التكوينات بمعهد الأمن، ثم تخرجت لأشتغل شرطيّا من سنة 1993 حتّى أفول عام 2003».

عُيّن أحمد مركوش لأداء الخدمة، برتبة ضابط شرطة، في العاصمة الهولندية أمستردام. لكنه لم يكتفِ بهذا التموضُع الجديد، وإنما أخذ في نيل تكوين ليليّ بمعهد

وتوفير الأمن ومحاربة التطرف، إلى جانب تحديث عمل جهاز الشرطة وتوحيده، بعدما كانت كلّ جهة هولندية تتوفر سابقا على جهاز شرطة مستقلّ خاص بها.

لا عطَاء دون منح

يعود أحمد مركوش إلى نشأته الأولى ببني بوغافر ليستحضر ظروف الحياة التي خبرها، ثمّ يمرق بعجالة على مسار حياته بالديار الهولنديّة، ثم التقلبات الذهنية والاجتماعية والوظيفيّة التي مرّ منها، ليخلص إلى أن «الحياة كلّها لا يمكن أن تعطِي للناس ما يريدون دون الظفر بمقابل».

ومن هذا المنطلق ينصح الراغبين في خوض تجارب حياتيّة ناجحة، سواء بفضاءاتهم الأمّ أو تلك التي استُنبِتُوا بها من خلال قوله: «تحقيق الأحلام تتوفر له إمكانيات ينبغي البحث عنها، لكنّ الفلاح الحقّ لا يتحقق إلاّ بالاجتهاد في كل الميادين، بدْءاً من الدراسة. وإذا كان الحديد يفلّ الحديد فإنّ العراقيل يُحجِّمُها التحدّي والإصرار، والإنسان الفاعل في وسطه الاجتماعيّ قلّما يمسّه احتقار الآخرين. والأساس أن يكون الفرد جزءاً من الحلّ، لا طرفا في الإشكال».

تجاريّ بسيط، إلى أن أتت مرحلة اتخاذ القرار بالحصول على «سوق ممتازة». وعن تلك المرحلة يقول: «كانت تلك النشأة موفقّة للغايَة، وأفضت إلى تطورات أتاحت فتح سلسلة من الأسواق الممتازة المماثلة تحت اسم طَنجَة».

بحلول سنة 2011، قرّر أحمد برغوال شقّ طريقه منفردا عن الاستثمار العائليّ، لكنّه لم ينسلخ تماما عن إرث الماضي وهو يسمّي مشروعه الجديد «سوق طنجة».. فكانت الفكرة الجديدة امتدادا لخبرة الماضي، ومرتبطة بتمكين تعداد المسلمين بهولندا، البالغ مليونا ونيفاً، من منتجات غذائية تلبي حاجياتهم.

«أسّست مشروعي الخاص بي، Tanger Market، وأخذت في البذل من أجل تنميّته يوما بعد يوم، وشهرا عقب شهر، وعاما تلو الآخر. وتشمل العلامة التجارية الخاصّة بي 11 مركزا تجاريا، واحد منها في بلجيكا والبقيّة فوق التراب الهولنديّ، بينما تشغّل حوالي 400 فرداً بصفة مباشرة، وتحصل على رقم معاملات يعادل 60 مليون أورو في العام»، يورد أحمد برغوال.

ثقة في النّفس

دأب أحمد على رفض كل العروض التي تهاطلت عليه من مستثمرين ذاتيين ومعنويّين راغبين في ولوج رأسمال سلسلة المتاجر الغذائية التي يملكها؛ مستندا في هذا الاختيار إلى ثقته بنفسه وقدرته على إنجاح المشروع دون شركاء، وكذا النتائج الماليّة التي حققها طيلة السنوات الخمس الماضيّة، بما يجعل «سوق طنجة» تصل في 2016 إلى المراهنة على افتتاح خمسة فروع جديدة في كل عام من السنوات القادمة.

وتعليقا على ذلك يقول: «لدينا طموح عال، كما نتوفّر على إدارة احترافية وأياد عاملة خبيرة، إضافة إلى عتاد لوجتسيكيّ متطوّر للغاية؛ وبذلك نستجيب لكل الشروط التي يضعها التشريع الهولنديّ لهذا النوع من الأنشطة التجاريّة؛ وبالتالي لا ضرر في مراهنتنا على جهودنا الذاتية لتحقيق التطور الذي نرغب فيه.. وأولى الخطوات التنموية للمؤسسة تقترن بتعزيز التواجد على المستويين الهولندي والبلجيكيّ، مع الاشتغال على التواجد قريبا بكل من فرنسا وألمانيا».

سِلع مغربيّة

تعرض المتاجر التي أسسها أحمد برغوال عددا من السلع المغربيّة على زبنائها، بتركيز على الخُضر والفواكه الطريّة، وأيضا بعض المشروبات المعدنيّة والغازيّة، غير

نفسه، ثمّ ولج مجال التدريس بقطاع التعليم العالي والبحث العلميّ من بوابة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة ابن طفيْل بمدينة القنيطرة، بين عامي 1986 و1990.

آفاق أرحب

بالوصول إلى العِقد الأخير من الألفيّة الثانية، كان عبد الرحمان العيساتي قد وعى بأنّ رحلة بحثه عن ذاته ينبغي أن تستمرّ خارج حدود وطنه المغرب. ولتحقيق ذلك، استثمر سريان مفعول اتفاقيّة بين الرباط وأمستردام تشجّع الباحثين من المملكتين على مواصلة اهتماماتهم الأكاديميّة وتعميقها بكل من الأراضي المنخفضة والمغرب، فكان له أن انتقل إلى القارّة الأوروبيّة لدخول مرحلة جديدة من عيشه.

«لم أكن ألبِّي رغباتي العلميّة بالتواجد في شعبة اللغة الإنجليزيّة بجامعة القنيطرَة. صحيح أنّني كنت مرتاحا بتدريسي الطلاّب لثماني ساعات في الأسبوع فقط. وكان أن تزامن حسمي في خوض تجربة الهجرة مع ترسيمي أستاذاً بالجامعة، لكنّ هذين المعطيَين لم يرُقاني بفعل التأثير السلبيّ الذي طال عشقي للبحث في مجال تخصّصي. كما أنّي لن أكشف سرّا إذا ما اعترفت بكون نفوري من أجواء البلد، خلال تلك المرحلة، شجّعني بدوره على الرحيل إلى الديار الهولنديّة. وهنا أودّ التشديد على أنّي أتحدّث عن مغرب التسعينيات من القرن الماضي، وليس وضع المغرب كما هو اليوم»، يقول العيساتي قبل أن يسترسل: «لقد كانت هجرتي عن وعي بوجوب البحث عن الأفضل، لا لكوني لم أجد ما أفعله في بلدي».

العالَم الجديد

توجّه عبد الرحمان العيساتي سنة 1991 نحو جامعة «نايْمِيخْن» الهولنديّة، ملتحقا بمنصب دكتوراه يمكّنه من مواصلة مساره بالتعليم العالي، مع الانفتاح الواسع على مجالات البحث بهذا «العالم الجديد»، فكان له أن تخرّج دكتورا من ذات المؤسسة بعد مضيّ خمس سنوات على التحاقه بها.

وعن المرحلة الموالية، يقول العيساتي، مستحضراً حنينه : «انتقلت، بعد نيل الدكتوراه من جامعة نَايْمِيخْن، إلى جامعة تِيلْبُورْغْ التي درّست بها، مزاوجا بين تخصّصي القديم المرتبط باللغة الإنجليزيّة، من جهة، والانفتاح على التواصل باللغتين الأمازيغيّة والدارجة المغربيّة، من جهة ثانيّة، في إطار برنامج أكاديميّ يحمل اسم (العربيّة في أوروبا)».

مجتمعيا، ولذلك لا أتوقف عن العودة إلى المغرب كعامل مهمّ في تكوين الإنسان الذي يعيش هنا في هولندا».

فِعل ثقافيّ

جهود عبد الرحمان العيساتي وسمت مسار الفعل الثقافي المغربيّ الأمازيغيّ بهولندا، وذلك بفعل إقدامه، قبل 22 عاما من الآن، على تأسيس جمعيّة «أدرار» بمدينة «نيميخْنْ»، بمعيّة مجموعة من الطلبة المغاربة الآخرين؛ إذ أقدم هذا الإطار الجمعويّ على إصدار نشرة إخباريّة كلّ ثلاثة أشهر، وبادر إلى تنظيم مهرجان مصغّر لأجل استمرارية الالتصاق بالجذور المغربيّة الأصل. كما عمل، بتعاون مع بلديّة أمستردام، على توفير دروس بالعربيّة والأمازيغيّة والهولنديّة في محاولة لتقريب المغاربة من الهولنديّين، والعكس أيضا.

بحلول عامي 2006 و2007، أنشأ عبد الرحمان العيساتي، رفقة عدد من مقاسميه همّ الفعل الثقافيّ بهولندا، تجربة «أمازيغي تيفي». وعن هذه المحطّة، يقول العيساتي إن الهمّ كان هو تحقيق التواصل الأفقيّ بين المغاربة، وذلك من منطلق الإيمان بإعلام القرب القادر على التحقق بجعل كل إقليم ومدينة تتوفر على قناة تلفزية وبث إذاعي خاصّ. ويضيف: «يجب أن يتعزّز هذا التوجّه، لأن غياب تواصل مماثل لا يمكّن من تركيز أسس المواطنة وسط من لا يحترمون اختلافاتهم اللغويّة والثقافيّة، ومثل هذه المشاريع تبقى صعبة. لذلك تستوجب مواصلة التجريب».

حدس ونصائح

يعتقد عبد الرحمان العيساتي بأن مسار حياته يبقى إتباعا لحدسه، كما يؤمن باستحالة إمكانية العودة إلى الماضي لتصحيح الأخطاء. ذلك أنه على وعي بأنّ إتباعه لنصائح محيطه، أينما حلّ وارتحل، وكذا ميله لبلده الأصل واللغات والثقافات، قد جعله يتوفّر على مزيج يحدد نهج عيشه.

«آمل أن أحقق، مستقبلا، تعمّقا في بحوثي، بمعيّة متخصصين مغاربة، في كل ما يهمّ المواطنة في معناها الثقافيّ؛ ذلك أنها، من وجهة نظري، ينبغي أن تكون متصلة بالثقافة أكثر من السياسة، وأن توفر الاحترام وتعزز التبادل وتفرز الاعتزاز، وتطبّع مع العقلانيَّة. لا يكفي أن نقول إننا مغاربة فقط، بل ينبغي أن نكون مغاربة فعلا وسط محيطنا الجيوـ استراتيجيّ المَكسَب في منطقة شمال إفريقيا، وما يتطلبه ذلك من اشتغال علميّ، مع فتح نقاش بخصوص ذلك بين الجميع عسى أن يعيَ المواطنون

McG

ويضيف بخصوص السنوات الممتدّة من 1994 إلى 1998: «حين كنت أقتني كتابا من الخزانة المتواجدة في شارع محمد الخامس بمدينتي، كنت أحسّ بنفسي كمن حصل على شيء مفقود، وشكّل ذلك تحفيزا بالنسبة إليّ حتّى أنال الإجازة في هذا الفرع الأدبيّ».

الحلم الأمريكيّ

التخصص الدراسي لياسر حوطش، وإقباله المبكّر على ممارسة كرة السلّة كرياضة، نمّيا في ذهنه الحلم الأمريكيّ.. وشرع في التهيؤ لشدّ الرحال إلى الديار الأمريكيّة بنية مواصلة تكوينه الأكاديميّ في كتابة السيناريو داخل جامعة واشنطن.

«شغفت برؤية العالم الجديد وإتمام الدراسة به، ولذلك اجتزت اختبار اللغة وامتحان الولوج إلى الدراسة بنقط متميّزة، كما أنّي نلت تحفيزا لاستكمال هذه الخطوات من محيطي الأكاديميّ ممثلا في رئيس الجامعة وقتها. لكنّ والدَتي عارضت ذلك بشدة إلى درجة أخمَدت حماسي حين عبّرت بكثير من العواطف الجياشة عن استحالة تقبلها بُعدي عنها بالولايات المتحدة الأمريكية».

هولندا البديلة

اختار ياسر إتمام دراسته بهولندا في مسار بديل لذلك الذي كان سينقله إلى ما وراء مياه المحيط الأطلسيّ. ويعلق على ذلك بقوله: «كانت هناك قنوات تبادل ثقافيّ بين جامعة محمد الأوّل بوجدة ونظيرتها في تيلبُورْخْ، وقد سبق أن زارنا أستاذ من المكوّنين بهذه الأخيرة في الكليّة بالمغرب واستضفته في منزلي. هذه المعطيات شجّعتني على الرحيل طلبا للعلم في هولندا، زيادة على التشجيع الكبير من أفراد عائلتي المتواجدين بكثرة في الأراضي المنخفضة».

وصل حوطش إلى مطار «شخيبول» الدوليّ سنة 1999، وتزامن ذلك مع شهر رمضان. شرع في مساره وسط الاغتراب بتحركات تروم تحقيق الاندماج في بيئته المستجدّة، والموازاة بين هذا المسعى ومواكبة الدراسة التي اختارها من أجل التخصص في علوم التواصل.

صدمة ثقافيّة

«كانت الشهور الأولى ملأى بالصعوبات وأنا أرزح تحت وقع صدمة ثقافيّة سبّبها تموقعي الهولنديّ لتمثلاتي المغربيّة»، يقول ياسر حوطش قبل أن يواصل:

من منطلق خبرته في البيئة الهولنديّة وتراكمات 17 عاما من التعايش بالأراضي المنخفضة، يرى ياسر حوطش أن الجيل الجديد من ذوي الأصول المغربيّة في هولندا يمكنه النجاح إذا ما آمن بأن الأحلام ينبغي أن تبقى شامخة حدّ السماء. ويردف بهذا الشأن: «ينبغي على الجادّين أن ينظروا إلى الجوانب الممتلئة من الكؤوس درءاً لأي إحباط متربص بهم، مع الوعي بأن المجتمع الهولنديّ يتوفر على علوم وتكنولوجيات يمكن الأخذ بها من أجل اختصار أزمنة التعلّم، دون إغفال أخذ مبادئ العطف والرحمة التي تزخر بها البيئة الثقافية المغربيّة»، وفق تعبيره.

على رصد ما يبثّ من مواد إعلاميّة على الإنترنيت والتلفزيونات والإذاعات الهولنديّة، قبل تلخيصها وترويجها لدَى من يهمّهم هذا المنتوج.

ويقول آيت بن موح: «كانت المقاولات المعنيّة برصد المحتويات الإعلاميّة الهولنديّة قليلة وقتها، كما أن اهتماماتها لم تطل البرامج السمعيّة البصريّة حينها. وقد واجهت صعوبات في البداية استمرّت عامين كاملين، لكنّ توجّهي إلى الاشتغال على التقارير المختصرة أحيَى المشروع وأنا أوشك على إنهائه، فكانت تلك انطلاقتي الحقيقيّة».

ازدهار وتوسّع

تتوفر شركة «Zoom media» لعبد الرحيم آيت بن موح، ومقرها حاليا بمدينة لاَهَاي، على عقود مع زبناء مختلفين، بينهم 7 وزارات من أصل 10 تتشكّل منها الحكومة الهولنديّة، إضافة إلى شركات كبرى، وساسَة من أحزاب مختلفة، وكذا وكالة الأنباء الهولندية الرسميّة. فيما أضحت الشركة تشغِّل، إلى جانب مالِكهَا آيت بنمُوح، 19 موظفا في تخصصات مختلفَة، 5 منهم مكلفون بشؤون تقنية انطلاقا من حيز تواجدهم الجغرافي بين أوكرانيا والمَجر.

«يرتبط المنتوج الذي توفّره الشركة بتقارير مختصرة عن أهمّ ما تتداوله البرامج التلفزيّة والمواقع الإلكترونيّة الإخباريّة والفقرات الإذاعيّة، وإضافة إلى كلّ ذلك تمكّن خدماتنا للـMonitoring من حصول الزبناء على تحاليل في وقت قياسيّ يقارب الزمن الحقيقيّ لصدور المحتوى الأصل»، يعلّق عبد الرحيم قبل أن يضيف: «الأمور تسير بشكل جيّد، والتطوّر مستمرّ بسرعة قياسيّة، ونحن سائرون في النموّ يوما بعد يوم، والفضل في ذلك يعود إلى زملائي، التقنيين منهم والصحافيّين، إضافة إلى من وضعوا ثقتهم في خدماتنا».

مشاريع مستقبليّة

يقرّ آيت بن موح برضاه عن الخطوات المهنيّة التي حاول المزاوجة ضمنها بين التطورات التكنولوجيّة الحديثة، من جهة، والتطرق لسيل المنتجات الإعلاميّة الذي لا يتوقّف، من جهة ثانيّة، ويضيف: «أشتغل في مجال يروقنِي كثيرا، بل إنّه يريحني ما دمت أتعَاطَى معه في كلّ حين».

تطمح شركة «Zoom Media» لعبد الرحيم آيت بن موح إلى توسيع خدماتها نحو دول أوروبيّة عديدة، وذلك بعدما حققت نجاحا كبيرا في هولندا، والرهان ينصبّ على الوصول إلى بلجيكا وألمانيا وإنجلترا خلال الأعوام القليلة المقبلة؛ حيث تتم الآن

وكان من المتوقع أن يستمر المشوار سنتين، وأن يموّل بمنحة من الدولة المغربيّة، ثم نعود بعدها إلى أرض الوطن؛ لكنّ الصدمة حضرت لديّ حين جمعنا رئيس شعبة الفلسفة في جامعة فاس كي يخبرنا بأن وزارة الداخلية رفضت خروج المجموعة من التراب الوطنيّ»، يقول مصطفى أعراب.

عقب هذا المستجدّ، جمع «ابن الحسيمة» أغراضه وغادر العاصمة العلميّة عائدا إلى الريف، غاضبا مما طاله؛ وعاقدا العزم على خوض تجربة هجرة إلى الخارج دون منحة دراسيّة. ويعلق على ذلك بقوله: «حين وصلت الحسيمة وجدت أبي قد عاد لتوّه من هولندا بشكل نهائيّ، مقررا إنهاء مسار حياته كعامل بالأراضي المنخفضة، وتحدثت مع أمّي كي يساعدني بقدر من المال لأستهل مسيرة الاغتراب، فما كان منه إلاّ أن رضخ لطلبي بعد امتناع».

أعراب في أمستردام

حضّر مصطفى أعراب وثائقه الإدارية اللازمة للانتقال إلى هولندا، لكنّه لم يخطّط جيّدا لاستقراره بأمستردام التي حل بها سنة 1986، فوجد نفسه وسط بيئة عيشه الجديدة مسلحا بحقيبة وجواز سفر وكتاب بالفرنسية وفرشاة أسنان .. «بعض الإخوة المغاربة ساعدوني كثيرا حتّى سُجّلت في جامعة العاصمة الهولنديّة عاما بعد ذلك، وبعدها جاء الوقت الذي قبل فيه أستاذ بلجيكي الإشراف على رسالة الدكتوراه الخاصّة بي ضمن تخصص الدراسات الإنسية بجامعة أوتريخت»، يورد مصطفى.

عمل بواكر سنوات وصوله إلى الديار الهولنديّة، على تدبّر احتياجاته المهنيّة بالإقبال على مهن بسيطة، غالبيتها مرتبطة بخدمات النظافة، من أجل ضمان لقمة العيش وتوفير مستلزمات الدراسة، وفي آخر عام من عقد الثمانينيات ظفر بفرصة اشتغال كمترجم للنشرات الإخبارية الهولنديّة نحو العربية والريفيّة بتلفزيون N.O.S. «لم يكن قد مرّ على وفودي إلى البلاد سوَى عامَيْن ونصف العام، واستعنت بمنجد لغوي كي يبرز اشتغالي الجديد في حلّة ممتازة. وقد كنت مستعدّا للقيام بأي عمل، وقتها، حتّى أثبت وجودي في هولندا»، يضيف أعراب.

خبرة إعلاميّة

راكم مصطفى أعراب خبرة اشتغال من ستّ سنوات كمترجم للقصاصات الإخباريّة في المنبر السمعي البصري ذاته، وبعدها تمّ انتقل إلى منبر N.P.S الذي كان

مستقبل واستحالة

يقرّ أعراب بكون صعوبة الاندماج في المجتمع الهولنديّ تبقى ذات وقع خاص على الجاليات المسلمة بهذا البلد، عموما، وذوي الأصول المغربيّة، بوجه خاص. ويقول بهذا الشأن: «المجتمع الأوروبي منكمش على ذاته، وهو ينظر لهذه الشريحة على أنها مكمن للخطر على الانسجام والاستقرار، وأمام ذلك يطالب الوافدون بحقوقهم كاملة بعدما أضحوا مواطنين هولنديين .. امّا التطورات العالميّة المرصودة خلال العقدين الماضيين فقد جعلت المسلمين مرتبطين بالوضع الكونيّ للإسلام المتأثر بنزاعات الشرق الأوسط، حيث إن الناس يربطون بين ما يتداوله الإعلام من هذا المنطلق كي يحكموا على من ينتمون إلى البيئة الإسلاميّة. والواقع لا يمكن نعته بالعنصريّ ما دامت المسؤوليات كثيرة ومتشعبة».

أمّا بخصوص مساره الشخصي والمهني في هولندا، إلى حدود الحين، يضيف أعراب: «لا يمكن تحقيق كل شيء في الدنيا، لكن الطموح يبقى حيّا. لذلك اواظب على القراءة والكتابة، وأعمل حاليا على كتاب أريد التعاطي من خلاله مع تاريخ الفتوحات الإسلامية وعلاقتها بالمقدّس .. ما يجعلني منخرطا في رحلة بحث لا تتوقّف، وأبحث عن نتائج غير مخطط لها بالمرّة»، ثم يسترسل: «أحاول من وسط هذا الخضمّ العناية بأبنائي الأربعة، مع الحرص على توفير نقد لذاتي وأنا أحكم بخطئي هنا وملاقاتي للصواب هناك».

ويرى أن الهجرة كانت موجودة وستبقى، ما يعني أن الناس سيواصلون لجوءهم إلى هذا الخيار الحياتيّ على الدوام .. ويعلّق: «الهجرات السابقة، كتلك التي انخرطت فيها شخصيا، كانت في ظروف أفضل مما هو متاح حاليا. لذلك أنصح المقبلين على خوض مسارات اغتراب بالتفكير مليّا من خلال النظر إلى وضعيات أشخاص وجدوا أنفسهم عالقين بين حدود بلدان عديدة، وما إلى ذلك من المحن التي نعايشها يوميا .. ولذلك يتوجّب نيل رؤى واضحة عمّا يراد الإقبال عليه خارج الوطن الأمّ، وإعداد ما يمكنه تسهيل هذا الانتقال بنجاح».

تأسيس شركتي الخاصّة بإنتاج التطبيقات القابلة للتنفيذ على الدعامات الرقمية المحمولة. فكانت البداية من منزلي حين خضنا تجارب احترافيّة في مجال برمجة تطبيقات تراعي قواعد أنظمة تشغيل الهواتف الذكيّة».

ويضيف: «حين تخرّجت من الجامعة وجدت نفسي مسؤولا عن تدبير شركتي التي نجحت في التموقع بشكل جيّد وسط سوق تطبيقات الهواتف والألواح الذكيّة في هولندا، مع تخصصها، على وجه التحديد، في التعامل مع بيانات مستعملي مواقع التواصل الاجتماعي المكتسحة للفضاء الرقميّ. وهذا ما جعلني أربح سنوات على مستوى الاشتغال الفعليّ».

نأي عن الميز

يقول الحضري إن العنصريّة تلازم شريحة عريضة من المجتمع الهولندي في نظرتها إلى المنتمين لأصول أجنبيّة، وفق رأيه، ويزيد: «استفدت من نصائح ذوي خبرة، من بينهم والدَاي، أوصوني بالتركيز في أدائي دون إعارة أي انتباه للراغبين في التأثير عليّ بسلبيّة، خاصّة العنصريين».

ويردف: «لم أحسّ بتأثير العنصريّة على حياتي لأنّي أداوم، وفق ما استطعت، التركيز على اشتغالاتي باعتبار ذلك أنجع ردّ على التحرشات الفرديّة والجماعيّة التي تطال متعدّدي الثقافات في المجتمع الهولنديّ. ولديّ اقتناع راسخ بأن قيام المرء بأفضل ما يجيده، مع اتجاهه نحو مساعدة الغير بتفانٍ، هو خير ردّ على المفتونين بالإبداع في طرق العرقلة. وهذا ما أرى أنّه انعكس بإيجابية على مسيرتي الحياتيّة التي أقرّ بأنها لا تزال في طور التأسيس».

نمو متواصل

يتواجد المقر الاجتماعي لـ «مِيلْفُـم»، التي يملكها سليم الحضري، بمدينة لاَهَاي الهولندية. وتشغّل الشركة حاليا 14 فردا، يراهن عليهم في تنفيذ إستراتيجيتها المبنية على تحقيق أداء متركّز على متلازمة «الجودة ـ السرعة» في إنتاجاتها المتعاطية مع طلبات زبنائها المنتمين إلى السوق المحليّة، بينما الرهان يرتبط ببلوغ فضاء التسويق الدوليّ.

«الزبناء يبتغون، وفق غالبيّة الطلبات التي تتوصّل بها الشركة، نيل تطبيقات سلسة وسريعة للتعامل مع الناس بلا تعقيدات ودون جهود إضافية للموارد البشريّة، بينما عمل المؤسسة يعتني، أيضا، بمجال التطوير من خلال التعامل مع طلبات

الموارد البشرية من خبرات تواكب، أولا بأوّل، فورة التطورات التي يرصدها الجميع بوتيرة يوميّة».

أمّا بشأن الراغبين في تحقيق نجاحات ذات صلة بمجال اشتغاله، فينصح الحضري الشباب الطموح، سواء بأرض الوطن أو بدول الهجرة، برصد حاجيات المجتمعات على المستوى الرقميّ قبل الشروع في البحث عن منتجات تلبّيها بقابليّة تسويق، ويختم ياسر الحضري بالقول: «كل من عانقوا التميّز لم يهابوا الشروع في التجريب من خلال خطوات أولية قد تلاقي الفلاح بتوفّر الإصرار».

جعل المنحدرين من ثقافات غير هولنديّة يسلكون مسارات مفضيّة إلى اشتغالات عضليّة، نائين بهم عن محاولات خوض تكوينات متّصلة بالأداء الفكريّ»، يقول عبد العظيم الجعواني.

وأضاف: «المتصلون بهذا التعامل التمييزيّ يتوفرون على صور نمطيّة تجعلهم لا يتقبلون رؤية مزدوجي الجنسيات كأساتذة أو أطبّاء؛ وما إن يرصدوا أسماء وملامح أجنبيّة حتّى يشرعوا في القول إنّ المهن البسيطة قد تكون منفذا مستقبليا لهؤلاء».

ويزيد قائلا : «آمنت منذ صغري، وفقا للتأطير الذي تلقيته من والدَاي المراهنّين على تعليمي وتمكيني من الدعم اللازم، أن العمل المضني والتشبّث بالطموحات من شأنه فتح الأبواب؛ وبذلك حملت تحدّيا مبكّرا واجهت به كل محاولات الإحباط التي مسّتني، وارتأيت أن هذا السلوك قادر على فتح الأبواب في وجهي اعتمادا على قدراتي، دون الأخذ بالنظرة الكلاسيكيّة السلبيّة التي قد يحملها الآخرون أثناء التعامل معي».

تشغيل ذاتيّ

اختار عبد العظيم، منذ بلوغه العشرين من عمره، أن يخلق مشروعه الخاص لضمان تشغيل ذاتيّ له، فكان له ذلك في شركة للمنتجات الاتصال، بتركيز على الأداء المعلوماتي، حاملة لاسم Well، وشعارها: «We do it well | نقوم بذلك جيّدا»؛ مختارا الانفتاح على مستجدات المجال من أجل التخصص في التطوير.

«بدأت عملي وحيدا، لكنّ نجاح المشروع يجعلني الآن متمكّنا من فريق رسميّ من عشرة عناصر ذوي الخبرات العاليّة»، يقول الجعواني، الذي يمتدّ أداؤه المهني من هولندا ويطول الإمارات العربيّة المتحدة، ما بين دبيّ وأبوظبي، وكذا قطر وسنغافورة، وعددا من دول القارّة الأوربيّة شرقها وغربها.

ويضيف: «هناك من مدّ لي يد العون في بدايات المشروع سنة 2006، لتتوالى النجاحات جالبة كثرة طلبات الزبائن من مختلف مناطق العالم»، ثم يواصل: «نتوصّل بطلبات أشخاص ذاتيين ومعنويّين حاملين أفكاراً يريدون تطويرها في المجال المعلوماتيّ، وهنا تكون مهمّتنا هي المواكبة إلى حين إنجاز المنتوج النهائيّ الذي يوافق عليه الزبون.. يمكن القول إن الشق الكبير من أدائنا يرتكز على الابتكار والتجديد في هذا المضمار. كما أن الشركة حصلت على عدد من براءات الاختراع، وضمنت مواكبات لأفكار جديدة حتّى تحقّقت وجرّبت وسوّقت».

تجريب دون خطإٍ

انخرط شكري موساوي خلال مرحلة تكوينه الأكاديميّ في مشروع دراسيّ يهتمّ بالتكنولوجيا القابلة للتطبيق في الأراضي القاحلة عبر العالم، مفضلا التركيز على إمكانيات المنطقة المغاربية عموما، والمملكة المغربيّة بشكل خاص، حين إقباله على إنجاز تطبيقات عمليّة لما تلقّاه نظريا. «لقد كان ذلك مثيرا بالنسبة لي، خاصّة أن الفضاء الذي حاولت ملامسته كان مراهنا بشدّة على تصدير الطاقة نحو الدول الأوروبيّة»، يقول موساوي.

ويضيف قائلا: : «تتبّعت التطورات المغاربيّة في الإقبال على إنتاج الطاقة الشمسيّة، وفي آخر عام من تكوينيّ، اشتغلت، بمعيّة شريكي في المجال التطبيقي بالجامعة، في البحث عن نماذج لألواح لاقطة للطاقة الشمسيّة، فكان ذلك، دون وعي من كلينا، استهلالا للمشروع الذي مازال يجمعنا إلى حدّ الآن، ويلقى نجاحا تلو الآخر».

تمكّن شكري موساوي، وقتها، من الوصول إلى تركيب لاقط شمسيّ اعتُبر متطورا جدّا، أخذا بالاعتبار الشق النظريّ لتحقيقه، فكان أن أراد، مطلع العام 2011، نيل إشهاد على تجريب هذا المنتج بما يمكّن من تحديد استيفائه للمعايير التصنيعيّة المرغوب فيها، فخلص إلى غياب أيّ نظام للتعامل مع هذا المسعى، ما فتح أمامه، بمعيّة شريكِه في التجريب، باب عمل إضافيّ يبتغي إيجاد آليّة ممكنة من اختبار كلّ لوح يلتقط «الفوتونَات الضوئيّة».

«أخذنا في تشييد نظام يقوم باختبار الألواح الشمسيّة ويمكّن من إعطاء إشهادات بشأن عطاءاتها التقنيّة وقدراتها على ضمان الخدمة المطلوبة منها؛ وكان ذلك انشغالا ثانويا بالنسبة لنا، لأن التركيز كلّه كان منصبا على اللاقط الذي أنتجناه، وإيجاد آلية لمعرفة قدراته كانت إضافة من وجهة نظرنا؛ لكنّ أحد أساتذتنا أخبرنا بأننا متميزون في هذا التحرّك غير المسبوق، وعرض علينا المشاركة بمنتجينا ضمن ملتقى يحضره خبراء دوليون بفضاء جامعتنا في دِيلُفْتْ»، يضيف موساوي.

ما عرضه شكري وشريكه عُدّ تميّزا استرعَى انتباه ضيوف الموعد التكنولوجيّ الذي شاركَا فيه؛ فأسهم اللوح الذي أنجزاه عليه، وخصوصا آلية الاختبار الملحقة به والقادرة على التعامل مع مختلف أنواع اللواقط الشمسيّة، في التعريف بهما وبقدراتهما في المجال الذي يخوضان فيه أولى الخطوات؛ بل تمكّنا من بيع النموذجين خلال سير أطوار ذلك الملتقى الدوليّ.

وتعليقا على ذلك، يقول شكري موساوي: «هناك طلب على تكنولوجيا الطاقة الشمسيّة، لكنّ التطورات المتتالية تملي التوفر على نسق ممكّن من اختبار فعالية كل

الشق الأخير، مثل الشيلي ودول أخرى خليجيّة. طموحات البلاد كبيرة في هذا الورش الكبير رغم النقص المسجّل على مستوى البحث، بينما التصنيع غير موجود أصلا. لكنّ هذا التوجّه المغربي يبقى مفهوما بفعل استيراد المملكة 90% من حاجياتها الطاقيّة مما يفرض بحثها عن بدائل».

ويرى شكري أن تحرك وطنه الأمّ نحو تركيب الألواح الشمسيّة يوازَى بمحاولات جادّة لمروره إلى تصنيع الألواح والبحث العلمي القادر على التطوير، ويضيف : «هذا النهج المغربيّ، على وجه التحديد، عليه أن يوازن الوضع في أقرب وقت حتّى لا يبقى العمل مرتبطا بدول أخرى يزدهر فيها البحث والتصنيع المتصل بإنتاج الطاقة انطلاقا من أشعة الشمس، إذ إن الاستفادة المغربيّة ستبقى غائبة على المستوى المعرفيّ، بفعل وجود أجانب يوفرون ما هو متطلب من خدمات تقنيّة».

عمل ودُعاء

يؤمن شكري موساوِي بالمثل الأمريكي القائل: «اعمل بجدّ والعب كثيرا»، بتحوير بسيط حيث يقول : «يجب على المرء أن يعمل بجدّ. وأن يكثر من الدعاء»؛ ولذلك ينصح الراغبين في نيل النجاحات بوضع برامج واضحة لعيشهم، معززة بكثير من الأهداف، وأن يبحثوا عن رفقة حسنة توفر المساعدة اللازمة لتحقيق المرامي.

ويسترسل موساوي: «المجتمع يحبّ المتوفرين على طموحات لا تنضب، ولا يتردّد في قبول الحائزين طاقات إيجابيّة تدعمها نظرات واضحة إلى المستقبل، بينما الناس ينفرون ممّن لا يفون بالتزاماتهم أو أولئك الذي لا يحملون أفكارا واضحة»، ثم يضيف: «أكيد أن للأصول دورا محوريا في تأطير أبنائهم في سنّ مبكّرة حتى ينفتحوا بإيجابية على الحياة. هذه خطوة لا محيد عنها من أجل تحقيق النجاح المنشود».

ersity
Ba all

إلى هولندا

وصل عمر أحداف إلى هولندا قبل 28 سنة من الحين، وتأتّى له ذلك بخوض تجربة هجرة غير نظاميّة ألقت به على التراب الفرنسيّ، لكنّه فشل في استكمال مساره الدراسيّ، فكانت هولندا خيارا بديلا له حيث في رحابها نجح في تسويّة وضعية إقامته عبر مسطرة الزواج. ثمّ أفرد اهتمامه للتكّون الأكاديميّ في المهن المسرحيّة.

«كان كلّ ما جرَى بنقلي إلى حياة الهجرة، سريعا للغاية. حتّى إنّي لا أدرك ما حدث فعلا»، يقول أحداف قبل أن يواصل: «وجدت نفسي، على غفلة منّي، أستهلّ حياتي من الصفر.. فاستثمرت هذا المعطَى من أجل التقدّم إلى الدراسة بأكاديميّة المسرح في أمستردام، بعدما نلت تكوينا جعلني أضبط التواصل باللغة الهولنديّة. فأخذت أتقدّم ببطء، لكن بثبات».

تركيز على السخريّة

اختار أحداف، بعد تخرجه الأكاديمي في الفن المسرحيّ، أن يميل في أعماله إلى الكوميديا، واستهلّ أولاها بالتعاطي مع جنس «Stand-Up» الذي فتح له باب الشهرة، حين تقدّم إلى عدد من المسابقات المعنيّة بهذا اللون التعبيري، المشتهر أيضا بتسميّة «مسرح الكباريه»، ونال تتويجا وتنويهات بهذه المرحلة من البروز.

شهدت السنوات العشر الأخيرة تألق عمر أحداف كممثل في أعمال ركحيّة متعدّدة، كانت من بينها عروض لمسرح الطفل وأخرى للكبار، زاوج بينها وبين مواصلة الإبداع، كتابة وإخراجا وتمثيلا، في المسرح الفرديّ. ونظم عشرات الجولات في هولندا وأخرى بدول أخرى كفرنسا والمغرب والجزائر.

«يشغلني التجديد في تعاطي إبداعاتي بسخريّة هادفة، تجمع بين الإضحاك والإفادَة مرّة واحدَة، على الرغم من الصعوبة التي يكتنفها هذا الاختيار الفنيّ.. ولديّ الآن عرض One Man Show بعنوان: "كسر الحدود"؛ وفكرته تناول الحدود الفكريّة التي يسيّج بها الناس فضاءات عيشهم للتضييق على ذواتهم قبل تسييج الآخرين .. وهو عمل آخذ في حصد النجاحات كسابقيه من العروض التي أسعفتني في سلك مسار يرضيني»، يردف عُمر.

ويسترسل قائلاً: «على المستوَى السينمائي يبقى رصيدي فارغا لأنّي لم أقبل بالأدوار النمطية التي تعطى للممثلين ذوي الأصول الأجنبيّة، والمغربيّة تحديدا، وهي تقرنهم بشخصيات متصلة بعوالم الإجرام. بينما حاضر باستمرار في عدد من البرامج التلفزيّة الهولنديّة، ولديّ برنامج عمل مكثف في هذا الإطار خلال السنة الحاليّة».

ويواصل: «صحيح أن الأمور تغيرت كثيرا الحين، حتّى أضحَى سير ذوي الأصول الأجنبية بالشارع الهولنديّ ينظر إليه بطريقة وكأنها تهمّ مجرمين..بينما تكرار مثل هذا السلوك جعله مألوفا للغاية»، ثم: «مرّت سنوات تعليمي الأساسيّة، حتّى الثانويّة، دون أي مشاكل؛ إذ وعيت بأن نجاح المرء يبقى بين يديه، وبأن باذل الجهود لا بد أن ينال فرصا مفضيّة إلى التوفيق».

نبوغ علميّ

استفاد متقي الله الطويل من تدرّجه في التعليم مجاورا أقرانه من الهولنديّين، وكذا عددا من ذوي الأصول المغايرة، كي يستفيد ممّا تتيحه البرامج التعليميّة بهولندا من تنمية للقدرات والمهارات. وشاء أن يسلك مسارا تقنيّا حين وصوله إلى المرحلة الثانويّة.

تحقق النبوغ العلميّ للطويل حين ولوجه مرحلة الدراسة الجامعيّة بـ «داوت»، إذ اختمرت تجاربه وهو يدنو من شهادة الإجازة في «الشعبة الإلكترونيّة» التي نالها باستحقاق.. ثمّ ظفر متقي الله بشهادة «ماستر» في هندسة المعلوميات، متخصصا في علوم الحواسيب، مبينا عن مهارات استثنائية في دراسة تصاميم الشرائح الإلكترونية.

وعن مرحلة التكوين الأكاديميّ الموالية لذلك، يقول: «أقبلت على الدراسة الجامعية المعمّقة في تقنيات التعرّف ثلاثي الأبعاد الخاصّ بالشرائح الرقميّة، مدققا في اعتمادها على منظومات ذاتية لتحقيقها الاشتغال المطلوب منها وفق تصوّرات المصمّمين. وأقوم حاليا بإنهاء دكتوراه عن أطروحة متصلة بتوجيه الشرائح الإلكترونيّة».

ويشرح متقي الله الطويل قائلا: «على سبيل المثال لا الحصر؛ حتّى أحدث الهواتف الذكيّة المطروحة في الأسواق تكون سريعة الاستجابة حين الشروع في استخدامها، لكنّها تبدأ في التباطؤ وهي تراكم أداء الوظائف المطلوبة منها. هذا راجع إلى التأثيرات السلبيّة للترانزستورات على الشريحة الرقميّة، ما يؤدي إلى الاستهلاك ثم التّلف. وينصبّ اشتغالي على التدخّل في هذا المنحى، إذ أنظر إلى هذه الآليات ككائنات بشريّة تطولها الشيخوخة بدورها».

تأطير خصوصيّ

الشهادة الأكاديميّة الأخيرة للطويل من جامعة «داوت» ظفر بها بتميّز عال. وتمنح هذه المؤسسة دبلومها للدراسة المعمّقة بدرجات، منها العاديّة وأخرى

البحث العلميّ كأستاذ على الأقلّ. وإن كان لي الخيار فسوف أقصد، دون أدنى تردّد، المجال الصناعيّ»، يقول متقي الله.

وانطلاقا من تجربته التي راكم إلى الآن يضيف الطويل: «أعتقد أن أفضل نصيحة يمكن أن أقدّمها إلى الشباب الراغبين في النجاح، سواء بالوطن الأمّ أو في بلاد المهجر، أن يستمرّوا في الإيمان بأحلامهم، وأن يعملوا بجدّ من أجل تحقيقها. أما من ينتظرون تحقق الأحلام من تلقاء نفسها فهم واهمون، لأن المثابرة والتشبث بما هو مراد يفضي إلى الاشتغال المضني الموصل إلى المرامي والغايات».

وعيٌ لاَحِق

ظفر قاسم خالد، في بداية العشرينات من عمره، بتكوين اقتصاديّ جعله يتمكن من فرصة العمل في وكالة مصرفيّة ضمن فريق من 13 مستخدما. وبفعل التأطير الذي ناله في هذه المؤسسة، حظر لديه وعي أرقَى بالمجتمع الهولنديّ الذي ينتمي إليه منذ عقود، ليقرّر وجوب تغييره لمساره بالتعمّق في التكوين الأكاديميّ.

وعن هذه الطفرة يورد خالد: «لا إشكال في نيل فرص لمواصلة المسارات الدراسيّة في هولندا، سواء أكانت الإمكانيّات الماليّة التي يتطلبها ذلك متوفرة أم لا.. وهذا ما وعيت به حين راكمت تجربة لا بأس بها في المؤسسة البنكيّة التي عملت مع طاقمها. فاتجهت نحو دراسة العلوم القانونيّة».

شرع في تكوينه في مجال القانون سنة 2003، مفلحا في تخطّي سنوات التأطير الخمس التي يتطلّبها، حيث تخرّج متخصّصاَ في علوم الإجرام، مكتسبا فرصة ثانيّة في بناء مستقبله وفق ميولاته الجديدة. ومنذ سنة 2009 وقاسم خالد محامٍ هولنديّ.

تطوّر مهنيّ

أسس قاسم مساره كمحاميّ انطلاقا من شركة «إيلاَنْنْ أُوفرِي»، وهي مؤسّسة دوليّة تقدّم الخدمات القانونيّة لطالبيها، من شركات تنتمي إلى دول مختلفة عبر العالم، كما في هولندا، ثمّ اختار التأسيس لتجربته الخاصّة عبر إنشاء مكتبه الخاصّ للمحاماة، بمعيّة شركاء يتوفرون على الطموح ذاته بالتوفر على استقلاليّة أكبر.

«لم أنسَ يوما انتمائي إلى صفوف الجاليّة المغربيّة بهولندا، كما أن ذاكرتي لم تُمحَ ممّا عشته صغيرا وسط المشاكل التي يعرفها الهولنديّون المغاربة. ولذلك ابتغيت المزاوجة بين ممارستي للمحاماة وتقديم المساعدة لذوي الأصول المغربيّة، بالدفاع عن مصالحهم ومساندتهم أمام القضاء. فكان أن أرسيت قواعد مكتب متخصص في ذلك»، يقول قاسم خالد.

ويزيد المتحدّث ذاته: «مشروعي في نماء متواصل بعدما أضحى، الآن، مشغّلا لـ13 محاميا..كما يتوفّر على مقرّين، أولهما بأمستردام، والثاني في هَارْلِم..ولدينا طموح إلى إغناء الموارد البشريّة خلال السنة المقبلة باستقدام ثلاثة محامين إضافيّين»، ثم يسترسل: «لا وجود لتخطيط لمراكمة الأرباح كأولويّة، ذلك أن الرهان الأساس مستنِد إلى تقديم الخدمات القانونيّة لمن يحتاجون إليها. وإذا تحقق هذان التوجهان فالأمر جيّد.. والسعادة تُخلق لدينا من نيل رِضَى من يولوننا ثقتهم، لا برقم المعاملات الذي قد يرتفع أو يتدنّى».

ويعلق بنزاكور على هذه المرحلة بقوله: «لم أشتغل في هذه المؤسسة إلاّ ستّة أشهر؛ ذلك أنّي لم أرتح في وجودي وراء مكتب من أجل مقابلة شاشة حاسوب وممارسة مهام لا تهمّني، فقرّرت المغادرَة».

سنوات سياسيّة

يرَى محمّد بنزاكور، عن سابق تجربة ميدانيّة، أن العمل السياسي يبقى غير مناسب لأدائه، ويقول مفسّرا: «سبق أن قضيت أربع سنوات كمنتخب ببلديّة مدينة جْفَايندرِيخْت؛ وذلك بفعل تقدّمي إلى الانتخابات باسم أحد الأحزاب السياسيّة. وقد أمضيت هذه الولاية مدافعا، بما أتيح لي من جهد، عن حقوق المغاربة والمسلمين الساكنين بالبلدَة نفسها؛ لكنّ التجربة التي خضتها لا تشجّع على تجديد ارتباطي بالسياسة والحياة الانتخابيّة».

ويردف قائلا: «بعدها ولجت البرلمان، ليس كمنتخب وإنما كمساعد لاشتغالات فريق بالمؤسسة التشريعيّة. وفي هذه المرحلة، التي استمرّت عاما، حاولت المزاوجة بين كتابة مراسلات أوجّه إلى تحرير محتوياتها، من جهة، وتقديم الاستشارة لبرلمانيّي الفريق نفسه عند قيامهم بتنقّلات ميدانية، لكنّني اقتنعت مجددا بأنني متواجد في المكان غير المناسب، وبأن رحلة البحث عما يلائمني ينبغي أن تستمرّ».

فِعل الكتابة

اختار بنزاكور الإقبال على فِعل الكتابة من خلال مقالات قصيرة لاقت قبول النشر لدى إحدى الصحف الصادرة بمدينة أمستردام، مما جعل القيّمين على هذا المنبر يعبرون عن اهتمامهم بما ينتجه، من خلال تقديم عرض تعاون أفضى إلى قبوله المواظبة على كتابة الخبر الموسوم بالتعبير عن الآراء.

«حقق تراكم المقالات المنشورة إعجابي بهذا المجال المتيح للتواصل المباشر مع النّاس، وكان مدخلي بعصاميّة إلى المجال الصحافيّ، لكنّ التطوّرات اللاحقة دفعتني إلى تعديل خياري بالإقدام على تجريب الكتابات الأدبيّة .. وقد سار الأمر بشكل حقق نتائج فوق مستوى تطلعاتي»، يذكر بنزاكور.

مِن البيبليوغرافيَا

راكم محمد بنزاكور خمسة مؤلفات، حتّى الآن، بباكورة إصدارات تمثلت في تجميع مقالات رأي سبق نشرها بعدد من الصحف الهولنديّة؛ لكنّ الطفرة في كتاباته

«أقبل منذ بداياتي على التجديد، حتّى أضع بصماتي على منتجات فنيّة خاصّة بي، بحثا عن تحقيق رغبة الإبداع. أخذت أؤلّف ألحانا أبقيها في خزانتي»، يقول احداف، قبل أن يواصل: «حققت تراكما في هذا الاشتغال، وبذلك حلمت بأن أوصل ما أنجزه إلى الضفّة الشماليّة من الحوض المتوسّطيّ، وشرعت في السفر مع الفرقة الأندلسيّة التي انتميت إليها في تطوان نحو عدد من البلدان، مطلعا بذلك على خبرات طوّرت أدائي عند كلّ تنقّل».

وصول إلى هولندا

عند حلول سنة 2004، أتيحت لهذا الفنان المغربيّ فرصة التواجد بالأراضي المنخفضة، فأفلحت عاصمتها أمستردام في سلب لبّه، فلم يتردّد في اختيار الاستقرار فيها؛ وبالتالي غدت البيئة الهولنديّة وسط عيش جديد بالنسبة إليه.

«وجدت صعوبات كثيرة من أجل تحقيق الاندماج في هولندا التي أبهرتني عاصمتها، لكنّ ممارستي الموسيقيّة كانت الحلّ لكلّ ذلك، بجوار إقبالي على دراسة اللغة»، يعلّق محمد أحداف على أولى شهور تواجده بفضاء حياته الحديث، ثم يواصل: «تعرّفت على مخرج هولنديّ جاورته بالعزف ضمن سلسلة تلفزيّة كان يشتغل عليها، وبعدما أعجب بأدائي ساعدني على الانطلاق من خلال تعريف موسيقيّين هولنديّين بي».

على سكّة الإبداع

واظب محمد أحداف على ارتياد معهد موسيقي في أمستردام من أجل مشاطرة مجموعة من العازفين المنتمين إلى ثقافات معبرة عن الخليط الاجتماعي العالمي الذي يقطن البلد، جاعلا فكرة تشكيل فرقته الموسيقيّة الخاصّة تختمر في ذهنه قبل أن يصل إلى مرحلة التفعيل.

وقد أخذ كامل وقته في البحث عن موسيقيّين مهرَة، من مشارب ثقافيّة متعدّدة، حتّى رسا على التشكيلة التي تلائم تصوّراته الإبداعيّة؛ ومن ذلك وسم منطلق سكّة إبداعه من هولندا بأوّل «ألبوم»، اختار له عنوان «نسيم الأندلس»، جعله يلاقي إقبالا أوسع من تطلعاته.

حرص أحداف على المشاركة في عدد من المهرجانات الدوليّة التي تستدعيه ومجموعته من أجل إقامة حفلات حيّة، مقدّما ما خلص إليه اشتغاله المنكب على تلقيح الأنغام الأندلسيّة بموسيقى الثقافات المتنوّعة. كما أقبلت عدد من المحطات

بمجتمع ذي الأغلبيّة غير المسلمة، وهو ما دفعني إلى اختيار مسارين دراسيّين جامعيين بعدها؛ الأول انصب على الأدب العربيّ والثاني ارتبط بعلوم الصيدلة. وقد تخرّجت في كلا المسارين بنجاح».

في المرحلة اللاحقة، حرص برزيزوة على التعمّق في الدراسات الإسلاميّة أكاديميّا، مما مكّنه من ممارسة مهنة التدريس طيلة ستّ سنوات، ابتداء من 2008، بجامعة «إن هولند للعلوم التطبيقيّة» في أمستردام، وذلك حتّى متم سنة 2014. وما شهدته المؤسّسة من مستجد تمثل في إغلاق قسمها المتخصص في تكوين الأئمّة والمرشدين الروحيين. كما وَازَى حسن بين هذا الاشتغال الجامعيّ، من جهة، والتعمّق في العمل الدعويّ والخيريّ، من جهة ثانية، متمكّنا من رئاسة مسجد بـ «كولمبورخ» وخطيب به منذ 2007.

حسم في الخيار

«بحكم دراستي للأدب العربي والدراسات الإسلامية، واشتغالي فيهما أكثر من الصيدلة، استمالني خيار التدريس بشكل حاسم وقطعيّ، لذلك ركزت على الاهتمام بتلقين اللغة العربية والثقافة الإسلاميّة للشباب المسلم المنحدر من المغرب وتركيا، وحتّى السوريناميّين والهولنديّين ممن اعتنقوا الدين الإسلاميّ، وذلك بغرض تمكين هذه الفئة من الإرشاد الروحيّ»، يقول برزيزوة.

وعن النأي عن ممارسة الصيدلة بالرغم من التخرج في علومها، يوضح حسن بأن هذا المجال يعرف طغيانا للبعد العقاقيري والكيماوي أكثر من البعد الانساني الذي استماله، ويزيد في التفسير: «حين قرّرت دراسة الصيدلة رأيت أن ذلك سيمكّنني من مساعدة المرضى، لكنّي وعيت، بعد ذلك، بأن هذه المهنة تتأسس على ضوابط فيزيائية وكيميائية ورياضية دون التعامل المباشر مع المعتلّين. وما أبعدني أكثر عن المجال هو ما أضحت عليه الصيدليات بتحوّلها إلى متاجر تبيع الأدويّة وهي تلبّي حاجيات الزبناء التي تضمّها وصفاتهم الطبيّة، وهذا ما يمكن تحقيقه من خلال التوفر على مساعدين ليس من الضروري توفرهم على دراسات في هذا المضمار».

حاليا، يمتلك حسن، أيضا، شركة متخصصة في ترجمة الوثائق من العربية إلى الهولنديّة والعكس. ويقدّم خدمات إنجاز التعاقدات والمراسلات الإداريّة تحت الطلب، متخذا من هذا العمل التزاما حرّا استهلّه بادئ الأمر من منزله سنة 2003، قبل افتتاح مقرّ في مدينة «أوتريخت» عام 2008، ثمّ أسس مقرّا آخر بالمدينة نفسها عقب مرور خمس سنوات عن ذلك.

جامعة إسلاميّة

يقرّ أشهبون بأن الصعوبات التي لاقته أولى أيّام انتقاله للاستقرار بهولندا واجهها وحيدا بحثا عن حلول ملائمة؛ حيث لم يصادف من يرشده إلى الإمكانيات المتاحة بفضاء عيشه الجديد. وبالتالي استند إلى التجريب في سعيه إلى شقّ طريقه وفرض ذاته.

المسار المهنيّ للمغربيّ ذاته استهله بالاشتغال مع اتحاد المسنين المسلمين بهولندا، وهو تنظيم كان وراء تحقيق مجموعة من المكاسب لهذه الفئة. وفي سنة 1997 تواجد أشهبون من ضمن مؤسسي جامعة روتردام الإسلاميّة باعتبارها أول جامعة من نوعها على الصعيد الأوروبيّ.

«هذه الخطوة غير المسبوقة قوبلت باحترام وتقدير من المجتمع الهولنديّ والأحزاب السياسيّة بالبلاد وحكومة الأراضي المنخفضة، وكانت المؤسسة الأكاديميّة قريبة من نيل اعتراف الدولة وتمويلها سنة 2001، لكن مشاكل داخليّة حالت دون ذلك»، يورد قاسم الذي اشتغل، أيضا، بثانوية أمستردام الإسلاميّة، التي هي ثاني فضاء تدريسي من نوعه بهولندا بعد ثانوية ابن خلدون في روتردام، وشغل رئاسة مصلحة التلاميذ حتّى 2011، بينما يعمل أشهبون، حاليا، مع مؤسسات مختلفة مؤطّرا للمشاريع.

إقبال على التطوّع

اختار الهولنديّ المغربيّ ذاته الإقبال على العمل التطوّعي منذ أول عام حل به في هولندا، فكانت بواكر خطواته في هذا المضمار من خلال تدريس اللغة العربية والثقافات المغربيّة بمجموعة من المؤسسات التعليميّة. كما أنّه تواجد عام 1993 بمعيّة مجموعة من المستقرين بمدينة «هَارلِـم»، التي يقطن بها، لأجل التأسيس لمؤسسة المركز الإسلامي بالحاضرة عينها.

ويقول أشهبون عن هذا المشروع: «كانت الخطوة تهدف إلى بناء مسجد مغاير للكلاسيكيّة، وأريد له أن يكون مركزا ساهرا على تنظيم أنشطة تستفيد منها عموم الأجيال»، ثم يضيف: «اشتغلت سبع سنوات في التعاطي التطوعيّ نفسه، مذيعا ومحرّرا لبرامج على إذاعة هارلِم الجهويّة.

وفي سنة 1997 قمت، مع عدد من الأصدقاء، بتأسيس مؤسسة الجسر الرامية إلى تسهيل اندماج الجالية المغربيّة وتذليل مشاركها بفعالية في مختلف الميادين، دون تفريط في هويتي الثقافية والدينية. وكان لمؤسسة الجسر الفضل، طيلة أدائها الذي دام سنوات، في تأسيس أرضية منظمات المغاربة بمدينة هارلم التي نظمت،

«لم تسر الأمور على ما يرام، ولم أكن من اللامعين المنتظر منهم مستقبل لامع في مجالات محددة سلفا، ولذلك وجدتني، حين بلوغي الرابعة عشرة من عمري، موجّها كي أتعلّم أصول الميكانيك بمؤسسة متخصّصة في توفير التكوين المهنيّ لمن هم في نفس سنّي»، يفيد بنسلام.

وعن فترة مراكمته للفشل يقول: «لم يكن مجرى الأمور بفضاء التكوين الحرفي الذي التحقت به أفضل من سابقه، وما زلت أتذكّر أن هذه المؤسسة كانت كبيرة وتستوعب ما يناهز الألف من المتعلّمين، كما لا يمكنني أن أنسى أنّني عانيت من مشاكل مختلفة بها ورسبت مرات عديدة. راكمت تغيّبات، وانخرطت في صدامات بدنيّة، ثمّ وُجّهت نحو مؤسسة أخرى لنيل تكوين مهني بديل، لكنّني آثرت الانقطاع عن التعلّم».

استثمار في العنف

حظي سعيد بنسلام بفرصة للاستثمار بإيجابيّة في ما رصد من ميله إلى سلوكات العنف وسط بيئته. وبخصوص ذلك يقول: «كنت محظوظا حين تأتّت لي فرصة التقاء مع مدرّب رياضيّ، كان وقتها بطلا عالميّا في رياضة الكيك بوكسينغ، وطلب مني الحرص على مواظبة التمرين معه في النّادي».

وعلى عكس نفوره من التعليم، حرص سعيد على مداومة حضور حصص المران البدنيّ الذي يتيح له إفراغ شحناته النفسيّة في حصص التداريب، كما ظفر بنسلام بمنصب اشتغال ضمن فرقة للأمن الخاصّ تؤمّن خدماتها لزبائن من مشارب متنوّعة. وفيما استمر الهولنديّ المغربيّ في مراكمة المدارك في فنون الحرب حتّى إكماله ربيعه الخامس والعشرين، مع الحصول على بضع نزالات رياضية فقط، فإن عمله في المجال الأمنيّ تواصل لمدة سبعة عشر سنة.

طفرة اجتماعيّة

«كانت الذاكرة تعود بي إلى صغري حين أرصد أطفالا، غالبيتهم الساحقة من ذوي أصول أجنبيّة عن هولندا، يعيشون وضعيات اجتماعية غير سليمة تعمّها المشاكل التي تغيّبهم عن مقاعد الدراسة»، يقول بنسلام قبل أن يضيف: «انتابتني رغبة في ارتياد الاشتعال في المجال الاجتماعيّ، فشرعت في ذلك منذ العام 2004 بتركيز على الشباب المغاربة».

أسس سعيد إطارا جمعويا تحت اسم «كَرَم» من أجل إيجاد حلول لمشاكل اندماج يعانيها شباب من أصول مغربيّة، بدرجات متفاوتة الوقع السلبيّ، معتمدا

حاولت، دوما، أن أصون شخصيتي الأصل بدعم من والديّ اللذين تكفلا بي وأفهماني أن المجيء إلى هولندا لا يعني الإقبال على الانسلاخ من الهوية أو الاستسلام للاستلاب، بل ربّيا فيّ وجوب ربط جسور التواصل مع المجتمع انطلاقا ممّا أنا عليه، وما يعنيه ذلك من بحث عن اندماج واع مبنيّ على التعقّل».

كان مرزوق واحدا من ستة أطفال استهلّت بهم تجربة تربية دينيّة ضمن المسجد الذي أضحى حاملا لاسم «المسجد الكبير»؛ إذ شرع في حفظ القرآن وهو في الحادية عشر من عمره، حتّى تمكّن من ذلك بعد مرور خمس سنوات، مستفيدا في ذلك من تكتل أنشأته أسر مغربيّة على نحو كيان مصغّر، خاص بها، قادر على أن يصون ثقافتها الوافدة على أمستردام من الضفة المتوسطية الجنوبيّة.

«كان ذلك المسجد داخل مقرّ كنيسة احتضنت المبادرة؛ حيث إن المغاربة كانت تُعوِزهم الإمكانيات المالية التي تمكّنهم من أداء سومة كرائيّة لمسجد خاصّ بهم. وأذكر أنهم قدّموا طلبا إلى الكنيسة التي وافقت على منحهم تحت أرضياً لإقامة الصلوات، بينما كانت مناسك المسيحيّين تجري بالطابق الذي يعلوه»، يقول أولاد عبد الله.

ويضيف: «وازيت حفظي القرآن بالتدرج ضمن المدارس الهولنديّة، فتمكنت من الذّكر الحكيم عند استيفائي سن السادسة عشر، وذلك على الطريقة المغربيّة المعتمدة في التلقين بالألواح، وقد كان تصوّر الرعيل الأوّل يجعلني، بمعية من رافقوني، محط اهتمام لتولي الإمامة بالمسجد وما يرافقه من إلقاء دروس وعظ».

تكوين شرعيّ

بعدما نال مرزوق أولاد عبد الله شهادة الباكلوريا الهولنديّة، عاد مجدّدا إلى المغرب للدراسة مدة سنة كاملة كطالب علم بإحدى المعاهد العتيقة في تطوان، معمقا مداركه في العلوم الشرعيّة على أيدي علماء المجال المتخصّصين بالوطن الأمّ، وعقب ذلك عاود الالتحاق بالأراضي المنخفضة.

ولقد مكّنه تكوينه من قبول طلب دراسته بجامع الأزهر في العاصمة المصريّة القاهرة، ويورد بشأن هذه المرحلة: «خضعت لدراسة دينية في كلّية الشريعة والقانون بتزامن مع الدراسة في هولندا، فتمكّنت من الماجستير ثمّ الدكتوراه. كانت أطروحتي الأكاديميّة للماجستير تهمّ عزل الموظف العام في النظام الإسلاميّ ونظم الإدارة المعاصرة، تحت إشراف الدكتور نصر فريد واصل، مفتي الجمهورية المصريّة، أما رسالة الدكتوراه فقد تمحورت حول تغيّر أسعار الصرف وتطبيقاتها المعاصرة في الاقتصاد الإسلامي مقارنة مع الاقتصاد الوضعيّ.

وحتى ملحدين، كي نجتمع ونناقش ما يهم المجتمع، بما يحمله الوسط الاجتماعي الذي نتواجد فيه من اضطرابات فكريّة؛ إذ نطرح الإشكالات ونقترح حلولا نحاول ترجمتها إلى خطوات عمليّة. فمفهوم السلم هو الأساس دون ما يمكن أن يضرّ باللحمة المجتمعيّة».

منطلَق من الذات

يقترح مرزوق أولاد عبد الله على الشبان والشابات الراغبين في النجاح، إما في مجتمعاتهم الأصلية أو بالبلدان المستقبلة، أن ينطلقوا من فهم ذواتهم، بشخصياتهم وتواريخهم وبلدانهم وحضاراتهم، ومن ثمّ يتمكّنوا من القدرة على التفاهم مع أنفسهم، أولا، ومع الآخرين.

«الإنسان التائه لا يتملكه الضعف في أي مجتمع تواجد به، وبالتالي لا يعدّ مؤهلا للنجاح في أي من المجالات التي يقبل عليها. وبالنسبة للمغاربة فإنّهم مطالبون، وفق نظرتي وتجربتي، بتقويّة روابطهم الذاتيّة بهويتهم الأصل حتّى يقبلوا على الفعل بتركيز على ما يحيط بهم؛ ذلك أن انفتاحهم على الآخرين، بعد إنهاء صدامهم مع دواخلهم، هو من أنجع العوامل التي تقود صوب السداد والتطوّر»، يختم مرزوق أولاد عبد الله.

ويضيف علي أوعاس عن الفترة ذاتها: «لم يكن هناك مغاربة في محيطِي، ووجدت راحتي في مصاحبة أقراني الأتراك، كما أنّ عدم إتقاني للهولنديّة أذكى محنة تحقيق الاندماج»، وزاد: «بالمراس تحقق تعلمي للسان الهولنديّين مدعوما من طرف والدي، وقد كان ذلك مفتاح اندماجي دراسيا واجتماعيّا، بينما مرحلة تعلّمي مرّت بشكل عاد جدّا إلى أن حصلت على الباكلوريا».

عمل وتعلّم

اضطرّ علي أوعاس، بسبب الموارد الماليّة المحدودة لوالده المشتغل عاملا في مصنع، إلى المزاوجة بين إقباله على العمل وإتمام دراسته الجامعيّة، محققا بذلك رغبته في توفير مستلزماته باستقلال عن ذويه، من جهة، والمساهمة في دعم أسرته ماليا، من جهة ثانية، فضلا عن تحقيق رغبته في مواصلة التحصيل الدراسيّ.

بهذا الصدد، يقول : «اخترت دراسة العلوم القانونية متخصصا في تشريعات الشغل والشركات، كما أنني مارست، بالموازاة مع دراستي، عددا من المهن. وهذا ما جعلني لا أتخرّج إلاّ بعد مرور ستّ سنوات من دخولي مؤسسة التكوين العالي. وما زلت أتذكّر إحدى التجارب التي خضتها بالعمل لصالح إحدى شركات الطيران؛ حيث كنت أخصص 20 ساعة للاشتغال، ثم أغيب لـ20 ساعة أخرى أخصص غالبيتها للدراسة قبل أن أعاود الالتحاق بالعمل».

تشغيل ذاتيّ

عن مرحلة ما بعد تخرجه من دراسة العلوم القانونيّة، يذكر علي أوعاس أنّه ولج غمار الأداء السياسي بمدينة هارلم الهولنديّة لمدّة عادلت ستّ سنوات، قبل أن يعود إلى مجال تخصّصه. ويفسّر: «حاولت الولوج إلى مهنة المحاماة من خلال الالتحاق بأي من المكاتب المتوفرة، كان ذلك قبل 10 سنوات من الآن، لكنّني لم أُقبَل، فقرّرت أن أشغّل نفسي بإنشاء مكتبي الخاصّ في هارلـم».

ويضيف: «حصلت على دعم صديق هولنديّ شاركني الانطلاقة مثلما شاطرني النجاحات. لقد تحقق النموّ لكلينا في كل خطوة قمنا بها. وبحلول العام 2014 دخلت في شراكة مغايرة مع صديق من أصل مغربي، إذ افتتحنا مكتبا في هارلم وآخر بأمستردام، وفريق عملنا يتألف من 11 محاميا ومحاميّة حتّى الآن».

المدارك للالتحاق بتحصيل أقرانهم الهولنديّين، ثمّ مكّن فؤاد، بعد إثبات تميّزه في التحصيل، من الولوج إلى السلك الثانويّ.

استعجال الاشتغال

«حصلت على الباكلوريا سنة 1988 وأنا في عمر يفوق سنّ الهولنديّين الذين كانوا يدرسون معي»، يقول فؤاد حجي قبل أن يسترسل: «هذا المعطَى أثّر عليّ نفسيّا وجعلني أقصد التكوين المهنيّ العاليّ. لقد كانت الفكرة الأساس أنّني جئت إلى هولندا من أجل الدراسة لنيل فرصة عمل، وبذلك استعجلت الالتحاق بسوق الشغل، خاصّة أن المردود المالي من عمل الوالدين كان بسيطا ويستوجب اختصار المسارات للمساهمة في توفير مستلزمات الحياة».

بحلول سنة 1994، التحق حجي بمقر وزارة الفلاحة في لاهَاي، وكان ذلك بعد تخرجه من مسار تكوين استلزم خمسة أعوام، مجاورا في موقع اشتغاله غالبية من الهولنديّين لسنتين ونصف، قبل أن يقرّر الاستجابة لغالبية عروض العمل التي توصل بها طيلة العقدَين المواليّين لذلك، مما أتاح له العمل بعدد من القطاعات المتأرجحة ما بين العامّ والخاصّ.

أداء سياسيّ

أقبل فؤاد حجي على العمل السياسي وهو في الخامسة والعشرين من عمره بعد تلقيه طلبا من فرع حزب العمل الهولندي بـ «بيركل»، التجمع السكاني الذي استقرت به أسرته عند قدومها إلى البلد، كي يترأس التنظيم محليا. وهكذا تقدّم للانتخابات المحلية وتمكن من الفوز فيها بأغلبيّة ساحقة، كما شغل منصب رئيس نفس التنظيم طيلة ثلاث سنوات قبل الانتقال إلى مدينة روتردام.

الرصيد السياسيّ لحجي بـ «بيركل» خدمه خلال الانتخابات المحليّة التي جرت عام 1998 بروتردام؛ إذ أفلح في نيل تصويت مكثف للأصوات المباشرة، مما مكّنه من دخول مجلس البلديّة الجزئيّة للمدينة لولايتين متتاليّتين. وسنة 2006 كان اسمه ضمن لائحة حزب العمل التي نجحت في الوصول إلى البلدية الكبرى لروتردام، بينما عام 2010 عرف معاودة ولوجه إلى المجلس نفسه المدبر لشؤون روتردام، قبل أن تصل سنة 2014 التي قرر خلالها فؤاد النأي عن السياسة لصالح اشتغالاته بميداني التعليم والإعلام.

عن هذه الخطوة: «كانت الفكرة متوفّرة منذ زمن؛ إذ إن العمل لصالح النفس أفضل من تقديم الأداء نفسه لفائدة الغير».

ويضيف: «الانتقال إلى الأجرأة كان سنة 1985، وتحديدا حين أفلست شركة كان يعمل بها شقيقي الأكبر عبد العزيز؛ إذ ارتأيت، بمعيّة أسرتي التي تعمل في الميدان، أن نتحرّك من أجل استثمار خبراتنا لحسابنا. وقد شرعنا في ذلك انطلاقا من البيت ببذر 50 وحدة من الورود، فتطورت الأمور بسرعة جعلتنا نكتري طاولة بيع بسوق الورود، ومع توالي النجاح بالوتيرة نفسها اكترينا أوّل محلّ بمساحة ناهزت المائة متر مربّع».

نجاحات مسترسلة

نجح حسن الحاجي، من موقع مسؤولياته بالمقاولة الأسريّة التي منحها كل اهتمامه، في جعل نشاطه التجاريّ يتنامَى نوعا وحجما، حتّى أضحى اسم الحاجي يرتبط بواحد من كبار تجّار الورود في عموم الأراضي المنخفضة، بينما نشاطه المهنيّ تخطّى الحدود الهولنديّة ليتصل بعارضين وطالبين من مختلف أرجاء العالم.

«المشروع عانقته نجاحات مسترسلة بحكم خبرة الفريق المسيّر له، فقد بدأنا بتشغيل خمسة عمّال حين دخولنا سوق الورود في أمستردام، لكنّهم أضحوا عشرة في ما بعد، ثمّ خمسين، إلى أن يعادلون حاليا الـ130 من الرسميين، مع إمكانية انتداب أياد عاملة إضافية عند الحاجة في أوقات الذروة»، يقول حسن قبل أن يضيف: «نتوفر الآن على محلّين من 2500 متر مربّع لكلّ منهما، بينما التموين المتصل بأدائهما يقصد السوق العالميّة، ونوفر بثبات حاجيات عدد من المواعيد الكبرى من الورود في كل من المغرب وهولندا والإمارات العربية المتحدة».

استثمار بالمغرب

ومنذ العام 2007، يسيّر حسن استثمارا في وطنه الأمّ يهمّ زراعة ورود الـ«بيفوان»، وفق تسميتها وسط الأسواق العالميّة، وهو صنف من الزهور لا يكون متاحا للتسويق إلاّ في فترة معادلة لشهرين اثنين كلّ عام.

الفكرة التي نقلها حسن الحاجي الأجرأة بأراضي الأطلس المتوسّط تقوم على إمكانية الاستفادة من أشعة الشمس بالمغرب كي يتمّ استباق المنتوج الدوليّ بشحنات من الزهرة المذكورة، وبالتالي ضمان تسويق بأثمان أعلى مما هو مألوف.

«الأمور تسير بشكل جيّد في هذا المشروع، لكنّي أطمح إلى تطويره أكثر بمنطقة الزراعة التي أشرف عليها ما بين الحاجب وإفران وكيكو وتمحضيت والعصر، وأرغب

للتواصل بلسان أهل بلد الاستقبال في شهور قبل أن يسترسل في تعليمه الذي كان قد قطع شوطا مهما منه في إقليم النّاظور.

بعد أن أنهَى أحمد سلك التكوين في مدرسة إداريّة بروتردام، التحق بالتعليم العالي الذي توفره الأكاديميّة الاجتماعيّة المتواجدة في المدينة، وقد قاده ميله إلى العمل الاجتماعيّ الذي زاوله من 1988 إلى 1990، مع مؤسّسة «هيومَانِيتَاس» في ما يهم مشاكل الشباب ذوي الأصول المغربيّة وأسرهم، زيادة على انتمائه.

اختار أحمد حريكة الانفتاح على العمل السياسي بهولندا انطلاقا من قواعد حزب اليسار الأخضر الذي انخرط فيه سنة 1993. وبعد تخرّجه في الأكاديميّة الاجتماعيّة، ظفر بفرصة اشتغال كمساعد اجتماعي من بداية تسعينيات القرن الماضي إلى غاية عام 2002، وخلال هذه المرحلة استفاد من تكوين إضافيّ عامي 1996 و1997 بمدرسة التسيير الإداري في العاصمة أمستردام.

التزامات متنوّعة

أفرد أحمد سنوات طويلة من عمره للعمَل السياسيّ المرتبط بتدبير الشأن العام المحليّ في مدينة روتردام الهولندية، فكانت البداية عام 2002 حين ولج مجلس تسيير البلديّة الجزئيّة لشمال الحاضرة ذاتها، وقد استمرّ في هذا الموقع إلى حدود سنة 2014، بل أفلح في الظفر برئاسة هذه البلديّة، البالغ عدد سكانها 50 ألف نسمة، طيلة الأشهر الأربعة الأخيرة من 2013 والربع الأوّل من 2014.

خلال العام ذاته، اختار أحمد حريكة التخلّي عن السياسة، لاعتبارات ذاتيّة وموضوعيّة، وأسس شركته المتخصصة في خدمات الترجمة، مع اعتماد تكوين بديل في مدرسة الترجمة بمدينة أوتريخت، يشرف على إنهائه بغيةالحصول على السجل الوطني لممارسي الترجمة في هولندا.

من جهة أخرى، شرع حريكة في تولّي مهمّة جديدة ببلدية روتردام، منذ مطلع 2015، تتمثل في الإشراف على تكوينات الموظفين في مجال محاربة التطرّف. وعن هذه المرحلة يقول أحمد: «أنا موظف حاليا لدى بلديّة روتردام التي يرأسها أحمد بوطالب، وأنتمي إلى المصلحة الأمنيّة بقسم التطرف الدينيّ».

«أضحى عدد كبير من الشبان الهولنديّين، من بينهم ذوو أصول مغربيّة، يلتحقون بمناطق النزاعات المسلّحة، خاصّة الأراضي السوريّة التي يسيطر عليها تنظيم داعش.. وهذا الإشكال أضحى محطّ اهتمام مدبري الشأن العام الهولنديّ، حتّى إن بلديات المُدن أنشأت أقساما لمقاربة هذه الظاهرة بحثا عن سبل مواجهتها، والتركيز يتم

الدراسة.. ويزيد: «هولندا تتيح للجميع الإقبال على التعلّم من أجل الظفر بمستقبل زاهر، والمهن التقليديّة التي استقبلت الرعيل الأوّل من الجالية المغربيّة لم يعد لها وجود في هذا العهد الذي شهد طفرة مكننة مسّت جميع المجالات.. ولذلك ينبغي الوصول إلى مستويات دراسيّة متقدّمة من أجل التقرّب من النجاحات التي تحسم فيها الميولات الفرديّة».

الهولنديّة هدفت منه تذليل صعوبات التحاقي بالدراسة والعمل، فكان ذلك بتركيز على التمكّن من اللغة كأولويّة، بينما سنوات التقشّف أربكت محاولات ظفري بموقع مهنيّ أبني من خلاله حياتي وأطوّر مهاراتي، وذلك بفعل الأزمة الاقتصاديّة العالميّة التي لم تستثن أحدا ومسّت هولندا عام 2008».

أيقن بربوش أن مراهنته على قدراته الذاتيّة كفيلة بفتح أبواب التميّز أمامه، فما كان له إلاّ أن تحرّك من أجل تأسيس مشروعه الخاصّ قبل اختتام سنوات العشرية الأولى من الألفيّة الجاريّة، فجاء ذلك باختياره الخوض في مجال الأسفار وهو يرسي دعائم وكالة متخصصة في هذا المجال، بينما وازن بين مستجداته المهنيّة والاستمرار في سابق ولعه بالعمل الجمعويّ وهو ينخرط ضمن مبادرات ثقافيّة متصلة بانتمائه الأصل إلى شمال المغرب عموما، وإلى منطقة الريف على وجه التحديد.

«تشبّعت بالفعل المدني الجمعويّ منذ أيام دراستي وسط الريف، وقد وفر لي ذلك متنفسا منذ وصولي إلى مدينة لاهَاي الهولنديّة، وشرعت في تحقيق جزء من الاندماج بالتواجد في جمعيات متنوّعة، بينما سنة 2009 شهدت تأسيسي، بمعية ثلّة من الطاقات ذات أصول أشاركها، مؤسّسة صوت الشباب المغربي بهولندا بغرض كسر الصور النمطيّة لدى الهولنديين تجاه هذه الشريحة المجتمعيّة، مع المراهنة على تشجيع وتأطير وتوجيه الشباب ذوي الأصول المغربيّة بنيّة سلوك المسارات الصحيحة».

تطوّر مهنيّ وجمعويّ

الجهود المهنيّة الحثيثة التي بذَلَها مصطفى بربوش جعلته يراكم التطورات بالمجالين التجاري والخدماتيّ اللذين ارتبط اسمه بهما في لاَهَاي وعموم هولندا، مفلحا في توسيع العروض السياحيّة التي يوفرها لزبنائه، وكذا تجويد برامج الأسفار والرحلات التي يرسيها تحت الطلب، ومسوّقا لعدد من الوجهات العالميّة بينها المغرب، مثلما طوّر أداء مكتب لتنظيم التظاهرات انطلاقا من العاصمة الإداريّة للمملكة الهولنديّة.

«ما كنت لأتصوّر أن الأمور ستسير بسلاسة لو سألني أي كان عن ذلك قبل 12 سنة من الآن، لكنّ ذلك ما جرَى حتّى أضحيت مرتاحا مهنيّا، على وجه الخصوص، بنيل ثلّة من الشركات؛ أحدثها حاملة لاسم لاهَاي للتصدير والاستيراد وتعنى بتسويق منتجات هولنديّة ناجحة بأسواق دوليّة، بينها المغرب والسعوديّة على سبيل المثال، كما أني افتتحت مشروعا جديدا بالمغرب، وبالحسيمة على وجه التحديد، من أجل تشجيع السياحة القرويّة»، يقول مصطفى.

نأي عن الاستسهال

يرى مصطفى أن خوض تجارب هجرة خارج المغرب قد أضحى محطّ استسهال شبابيّ واسع، عكس حالته التي شهدت تردّدا بين البقاء والعودة إلى الوطن الأم لما ينيف عن نصف العام منذ حلوله بلاهَاي. ويستحضر بربوش تجارب الشباب الذين خاضوا مغامرة الوصول إلى أوروبا عبر التراب التركي، خلال الشهور الماضيّة، كي يحسم بأن معرفة الشباب المغاربة لا تخلو من تنميطات بدورها.

ويقول بربوش في هذا الإطار: «عدد كبير من الشباب الذين وفدوا مؤخرا على الديار الأوروبيّة صدموا ويعيشون ظروفا صعبة للغاية حاليا، لذلك أوصي كل راغب في خوض غمار الهجرة بالنأي عن السبل غير النظاميّة، مع التسلّح بقدر من التعليم وإرادة قويّة لخوض التحدّيات في المجتمع الجديد الذي يقصده، وليّ اليقين أن الاستناد إلى طموح جديّ سيمكّن من معانقة النجاح المأمول، سواء طال الزمن أو قصر».

اللذين وفرتهما له أسرته جعلاه يعي وجوب تفكيره بأغياره إلى جانب حمله هموم ذاته، وبالتالي أقبل على الدراسة بجدّ كي يقصد الجامعة ويتخصص في دراسة كيفية تدبير الشأن العام.

ضمن مرحلة تكوينه الأكاديميّ، اختار التخصص في العلوم السياسيّة، ثمّ أقبل على برنامج تكوينيّ آخر يعنى بعلوم الإدارة العموميّة، فتخرّج متمكّنا من رؤى موضّحة لكيفية اشتغال المصالح الإدارية المركزية والجهوية والمحليّة في هولندا، وبذلك اقتنع بأن مواصلة التجربة على المستوى المهنيّ تليق بطموحاته الوجوديّة.

رجُل المشُورَة

أقبل بوتشكور، عقب تخرّجه سنة 1998، على الحياة المهنيّة انطلاقا من مدينة «لاَهَاي» التي تستقرّ بها المصالح المركزيّة للدولة الهولنديّة. ويسترجع الذكريات التي تعود إلى ما قبل 18 عاما من الآن كي يقول: «كانت البداية من مكتب صغير يقدّم المشورة للإدارات الراغبة في ذلك، وقد شاركت في إيجاد حلول لمشاكل مؤسسات عديدة في تعاملها مع المواطنين وانشغالاتهم، واستمرّ ذلك لعامين قبل أن أفكّر في إنشاء مكتبي الخاصّ».

اختار خالد، لمّا بلغ ربيعه الـ27، تأسيس وكالته الاستشارية الخاصّة التي ظفر من خلالها بعقود مع عدد كبير من الإدارات الهولنديّة الراغبة في نيل استشارات بغرض وضع استراتيجيات تهم تدبير الشأن العام الوطني والجهوي والمحليّ، كما حظي بثقة جملة من الشركات والمنظّمات التي وفّر لها الدعم الاستشاري.

«النجاح الذي حققته وكالتي الاستشاريّة استدعى اهتمام شركة رائدة في هذا المجال بهولندا، وهي فَانْ دُو بُونْتْ التي اقتنته وجعلتني أديرُه لحسابها لمدة 11 عاما، وقد كانت هذه الفترة متميّزة لمساري المهنيّ بشكل فاق تصوّراتي، حتّى إنني أقبلت على خوض تجربة تأسيس وكالة استشارية أخرى، تفرّغت للإشراف عليها منذ سنة 2015، انطلاقا من مدينَة خَوْدَا، وأمورها تسير على نحوٍ جيّد جيّدا. وأشتغل صحبة 17 من المستخدمين من ذوي التكوينات العاليّة والخبرات العميقة في المجال، وزبنائي في تنامٍ يوما بعد يوم»، يضيف بوتشكور.

تقييم المسار

أعمال خالد بوتشكور في مجال الاستشارة تأخذ قسطا وافرا من تركيزه اليوميّ؛ وهو يشرف على ما تنتجه طواقم وكالته المتخصّصة تلبية لطلبات الزبناء المختلفة في

مع عموديّة أمستردام

يشغل عادل بلحاجِي، منذ سبع سنوات مضت، مهمّة مستشار لدَى عمدة العاصمة الهولنديّة، مركزا أداءه المهنيّ على تقديم الدعم الذي يستلزمه تدبير مقاطعة «الغرب الجديد» في أمستردام، وهي واحدة من المقاطعات السبع الكبرى بالحاضرَة الأوروبيّة عينها.. ويتكلّف بلحاجي، أيضا، بملف العلاقات والاتفاقيات بين بلديّة أمستردام ومدينة الدار البيضاء في المغرب.

«موقعي يمكّنني من التطوّر على مستوى التواصل والتسويق والتدبير مهنيا، بينما يوفر لي، من الجانب الشخصيّ، الجمع بين طموحات التنميّة في كل من هولندا، بلدي الذي وُلدت وكبرت فيه، ووطني الأصل المغرب. ولذلك لا أتردّد في قبول طلبات الوزارات الهولنديّة، وأيضا السفارة الهولندية بالرباط، من أجل تطوير أوجه الشراكات الممكن إبرامها مع المملكة المغربيّة»، يضيف بلحاجي.

اشتغالات جاريَة

يقول بلحاجي إن الاتفاقيات الثنائية القائمة بين المغرب وهولندا تشمل مجالات عدّة، ويعمل ضمن طاقم، على تعزيزها باتفاقية جديدة تهم التعاون بين بلديتَي أمستردام وطنجة بغية تبادل المنافع ومواكبة مخططات التنمية التي وضعها الطرفان.

ويضيف قائلاً: «الاهتمام ينصب على تطوير الأداء القطاعي، بتركيز على تدبير النفايات الصلبة مثلا، والرفع من التبادل الاقتصادي، وإيجاد فرص استثمارية لشركات هولنديّة بالمغرب. هناك تجربة سائرة في هذا الإطار مع الدار البيضاء، بينما التعامل مع حاجيات طنجة سيتم الشروع فيه قريبا، مع استهداف المهن البحريَة وقطاع اللوجستيك في البوغاز».

فورة حماس

يرى عادل بلحاجي أن أعماله في مجال الاستشارة مع مقاطعة «الغرب الجديد» وعمودية أمستردام والحكومة الهولنديّة تستند إلى فورة حماس نابعة من الرغبة في المساهمة في التقارب بين المملكتين المغربيّة والهولنديّة، ويضيف: «أستفيد من حسمي في الانتماء، بشكل قاطع، إلى المغرب وهولندا في الآن نفسه، وأركّز أدائي على هذا المستوى دون أدنى تردّد».

ويزيد بلحاجي: «الهولنديّون لا يمكن أن يقللوا من قيمة أي فرد يمنح أجود ما بإمكانه للمجتمع، والدليل بارز بخصوص ذلك في جملة من ذوي الأصول المغربيّة